مختصر
الإيضاح في علوم البلاغة

للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي،
جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق
(المتوفى: ٧٣٩ هـ)

رحمه الله تعالى ونفعنا به وبشيخنا وبمشايخنا في الدارين آمين

****

تقديم وإعداد:

الفقير عبد الله اليسري الجاوي الأزهري
(أنطاني أوكتافيان بن مهلان)
إندونيسي الجنسية
طالب بمرحلة العالمية بالأزهر الشريف
قسم التفسير وعلوم القرآن

مختصر
الإيضاح في علوم البلاغة

للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي،

المعروف بخطيب دمشق

(المتوفى: ٧٣٩ هـ)

رحمه الله تعالى ونفعنا به وبشيخنا وبمشايخنا في الدارين آمين

اختصره وأعاد تنسيقه:
الفقير عبد الله اليسري الجاوي الأزهري
(أنطاني أوكتافيان بن مهلان)
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولسائر أمة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم
طالب بمرحلة العالمية كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن
بجامعة الأزهر الشريف
٠٠٢٠١٥٠٧٧٠١٧٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة خطيب الخطباء مفتي المسلمين جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن إمام الدين أبي حفص عمر القزويني الشافعي متع الله المسلمين بمحياه وأحسن عقباه:

الحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وعلى آل محمد أجمعين، أما بعد...

فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالإيضاح وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته تلخيص المفتاح وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما فاستخرجت زبدة ذلك كله وهذبتها ورتبتها حتى استقر كل شيء منها في محله وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري ولم أجده لغيري، فجاء بحمد الله جامعا لأشتات هذا العلم وإليه أرغب أن يجعله نافعا لمن نظر فيه من أولي الفهم وهو حسبي ونعم الوكيل.

مقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان

للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفهما به ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم، فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين فنقول: كل واحدة منهما تقع صفة لمعنيين:

١. الكلام كما في قولك: قصيدة فصيحة أو بليغة ورسالة فصيحة أو بليغة.

٢. الثاني المتكلم كما في قولك شاعر فصيح أو بليغ وكاتب فصيح أو بليغ

والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد، فيقال: كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة.

فصاحة المفرد

أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من:

١. تنافر الحروف، فهو ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، مثل:

أ. قوله الأعرابي عن ناقته: تركتها ترعى الهعخع.

ب. قول امرؤ القيس (غدائره مستشزرات إلى العلا ...)

٢. الغرابة، وهي أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها إلى من ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، مثل:

أ. ما روي أن عيسى بن عمر النحوي سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال: ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني، أي: اجتمعتم تنحوا.

ب. قول العجاج:

(وفاحما ومرسنا مسرجا ...)

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله مسرجا حتى اختلف في تخريجه فقيل هو من قولهم للسيوف سريجية منسوبة إلى قين يقال له سريج يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، وقيل من السراج يريد أنه في البريق كالسراج، وهذا يقرب من قولهم سرج وجهه بكسر الراء أي حسن وسرج الله وجهه أي بهجه وحسنه.

٣. مخالفة القياس اللغوي، مثل قول الشاعر:

(الحمد لله العلي الأجلل ...)

فإن القياس الأجل بالإدغام.

وقيل هي خلوصه مما ذكر ومن الكراهة في السمع بأن تمج الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة، فإن اللفظ من قبيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعها ومنها ما تكره سماعه كلفظ الجرشي في قول أبي الطيب :

(كريم الجرشي شريف النسب ...)

أي كريم النفس وفيه نظر.

علامة كون الكلمة فصيحة

ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها

فصاحة الكلام

وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من:

١. ضعف التأليف، كما في قولنا: ضرب غلامه زيدا، فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظا ورتبة. وقيل يجوز لقول الشاعر:

(جزى ربه عني عدي بن حاتم ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل)

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر جزى أي رب الجزاء كما في قوله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل.

٢. تنافر الكلمات، وهو ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعة كما في البيت الذي أنشده الجاحظ :

(وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر)

ومنه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام:

(كريم متى أمدحه والورى ... معي وإذا ما لمته لمته وحدي)

فإن في قوله أمدحه ثقلا ما لما بين الحاء والهاء من تنافر.

٣. التعقيد مع فصاحتها، وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به، وله سببان:

أ. ما يرجع إلى اللفظ، وهو يختل نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه كقول الفرزدق :

(وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه)

كان حقه أن يقول وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه. فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلم نظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية.

ب. ما يرجع إلى المعنى، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقول العباس بن الأحنف :

(سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناي الدموع لتجمدا)

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه كقولهم أبكاني وأضحكني أي أساءني وسرني.

فالكلام الخالي عن التعقيد المعنوي ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرا حتى يخيل إلى السامع أنه فهمه من سياق اللفظ.

وقيل فصاحة الكلام وهي خلوصه مما ذكر ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات كما في قول أبي الطيب:

(سبوح لها منها عليها شواهد ...)

وفيه نظر لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم، وإلا فلا يخل بالفصاحة، وقد قال النبي ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

فصاحة المتكلم

وأما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح. فالملكة قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة وهو مختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه. وقيل ملكة ولم يقل صفة ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه. وقيل يقتدر بها ولم يقل يعبر بها ليشمل حالتي النطق وعدمه. وقيل بفظ فصيح ليعم المفرد والمركب.

بلاغة الكلام

وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة. وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك كما سيأتي تفصيل الجميع. وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب.

وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم حيث يقول: النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام. فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا، وهو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ كقوله في أثناء فصل منه علمت أن الفصاحة إلى المعنى، وقد صرح فيما سبق بأنها راجعة إلى المعنى دون اللفظ. فالجمع بينهما بما قدمناه يحمل كلامه حيث نفى أنها من صفات اللفظ على نفي أنها من صفات المفردات من غير اعتبار للتركيب، وحيث أثبت أنها من صفاته على أنها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب

وللبلاغة طرفان أعلى إليه تنتهي وهو حد الإعجاز وما يقرب منه وأسفل منه تبتدىء وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب. وبين الطرفين

مراتب كثيرة متفاوتة. وإذ قد عرفت معنى البلاغة في الكلام وأقسامها ومراتبها فاعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة تورث الكلام حسنا وقبولا.

بلاغة المتكلم

وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ. وقد علم بما ذكرنا أمران:

- ✓ أن كل بليغ كلاما كان أو متكلما فصيح، وليس كل فصيح بليغا.
- ✓ أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره. والتمييز منه ما يتبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي

وجه انحصار علم البلاغة في المعاني والبيان والبديع

وأما وجه انحصاره في الثلاثة وهو أن:

١. ما يحترز به عن الأول أعني الخطأ هو علم المعاني .
٢. ما يحترز به عن الثاني أعني التعقيد المعنوي هو علم البيان.
٣. ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع.

وكثير من الناس يسمي الجميع علم البيان، وبعضهم سمى الأول علم المعاني والثاني والثالث علم البيان والثلاثة علم البديع. وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال. قيل يعرف دون يعلم رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات المعروفة بالجزئيات.

علم المعاني

تعريف علم المعاني

قال السكاكي علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره. وفيه نظر إذ التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم به، ثم قال وأعني بالتراكيب تراكيب البلغاء. ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة، وقد عرفها في كتابه بقوله البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها. فإن أراد التراكيب في حد البلاغة تراكيب البلغاء وهو الظاهر فقد جاء الدور، وإن أراد غيرها فلم يبينه على أن قوله وغيره مبهم لم يبين مراده به.

أبواب علم المعاني

ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب، وهي:

١. أحوال الإسناد الخبري.
٢. أحوال المسند إليه .
٣. أحوال المسند .
٤. أحوال متعلقات الفعل .
٥. القصر.
٦. الإنشاء.
٧. الفصل والوصل.
٨. الإيجاز والإطناب والمساواة

وجه حصر علم المعاني في ثمانية أبواب

ووجه الحصر أن الكلام إما:

١. خبر، وهو أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه. ثم الخبر لا بد له من:
   أ. إسناد، والإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس.
   ب. مسند إليه
   ت. مسند، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو متصلا به أو في معناه، كاسم الفاعل ونحوه وهذا هو الباب الرابع.
   وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى.
٢. إنشاء، وهو أن لا يكون لها خارج، وهو الباب السادس.

ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع. ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن.

تنبيه

اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب فذهب:

١. الجمهور إلى أنه منحصر فيهما، ثم اختلفوا فقال:

أ. الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له. هذا هو المشهور وعليه التعويل.

ب. بعض الناس: صدقه مطابقة حكمه الاعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له. واحتج بوجهين:

a) أن من اعتقد أمرا فأخبره به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه أخطأ، كما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت فيمن شأنه كذلك ما كذب ولكنه وهم. ورد بأن المنفي تعمد الكذب لا الكذب بدليل تكذيب الكافر كاليهودي إذا قال الإسلام باطل وتصديقه إذا قال الإسلام حق فقولها ما كذب متأول بما كذب عمدا.

b) قوله تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) كذبهم في قولهم: إنك لرسول الله، وإن كان مطابقا للواقع لأنهم لم يعتقدوه.

وأجيب عنه بوجوه:

- أن المعنى نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يترجم عنه أن واللام وكون الجملة اسمية في قولهم إنك لرسول الله فالتكذيب في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة، لا في قولهم إنك لرسول الله.
- أن التكذيب في تسميتهم إخبارهم شهادة لأن الإخبار إذ خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة.
- أن المعنى لكاذبون في قولهم: إنك لرسول الله عند أنفسهم لاعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه المخبر عنه.

٢. الجاحظ، وزعم أنه ثلاثة أقسام:

أ. صادق

ب. كاذب

ت. غير صادق ولا كاذب،

لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه. فالأول أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق والثالث أي غير المطابق مع عدم الاعتقاد هو

الكاذب والثاني والرابع أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصادق ولا كاذب. فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده. وغيرهما ضربان مطابقته مع عدم اعتقاده، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده. واحتج بقوله تعالى (افترى على الله كذبا أم به جنة) فإنهم حصروا دعوى النبي الرسالة في الافتراء والإخبار حال الجنون بمعنى امتناع الخلو وليس إخباره حال الجنون كذبا لجعلهم الافتراء في مقابلته ولا صدقا لأنهم لم يعتقدوا صدقه فثبت أن من ا لخبر ما ليس بصادق ولا كاذب.

وأجيب عنه:

بأن الافتراء هو الكذب عن عمد فهو نوع من الكذب، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذبا أيضا لجواز أن يكون نوعا آخر من الكذب وهو الكذب لا عن عمد، فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقا، والمعنى: افترى أم لم يفتر. وعبر عن الثاني بقوله أم به جنة لأن المجنون لا افتراء له.

تنبيه آخر

وهو مما يجب أن يكون على ذكر الطالب لهذا العلم قال السكاكي ليس من الواجب في صناعة وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرد العقل أن يكون الدخيل فيها كالناشىء عليها في استفادة الذوق منها فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية واعتبارات إلفية فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد صاحبه في بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك إلى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق.

وكثيرا ما يشير الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز إلى هذا كما ذكر في موضع ما تلخيصه هذا اعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ومن تحدثه نفسه بأن لما تومىء إليه من الحسن أصلا فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى، وإذا عجبته تعجب وإذا نبهته لموضع المزية انتبه. فأما من كانت الحالات عنده على سواء وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا فليكن عندك بمنزلة من عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ويميز به مزاحفه من سالمه في أنك لا تتصدى لتعريفه لعلمك أنه قد عدم الأداة التي بها يعرف.

واعلم أن هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب فإن من الآفة أيضا من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة في شيء مما تعرف المزية فيه ولا يعلم إلا أن له موقعا من النفس وحظا من القبول فهذا بتوانيه في حكم القائل الأول. واعلم أنه ليس إذا لم يكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل ولأن تعرف العلة في بعض الصور فتجعله شاهدا في غيره أحرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك وتعودها الكسل والهوينا.

قال الجاحظ وكلام كثير جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة وثمرة مرة، فمن أضر ذلك قولهم: لم يدع الأول للآخر شيئا فلو أن علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لما ينته إليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلا.

القول في أحوال الإسناد الخبري

من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما:

١. نفس الحكم، كقولك: زيد قائم، لمن لا يعلم أنه قائم. ويسمى هذا فائدة الخبر.
٢. كون المخبر عالما بالحكم، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك: زيد عندك. ويسمى هذا لازم فائدة الخبر .

وقد ينزل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم فيلقى إليه الخبر كما يلقى على الجاهل بأحدهما. قال السكاكي وإن شئت فعليك بكلام رب العزة (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعلموا بعلمهم. هذا لفظه وفيه إيهام أن الآية الأولى من أمثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما، وليست منها بل هي من أمثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم. والفرق بينهما ظاهر.

وإذا كان غرض المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة. وبيان ذلك:

- إن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك: جاء زيد وعمرو ذاهب، فيتمكن في ذهنه لمصادفته إياه خاليا. وهذا يسمى ابتدائيا.
- إن كان متصور الطرفية مترددا في إسناد أحدهما إلى الآخر طالبا له حسن تقويته بمؤكد كقولك: لَزيد عارف أو إنّ زيدا عارف. وهذا يسمى طلبيا.
- إن كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار فتقول: إني صادق لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، وإني لصادق لمن يبالغ في إنكاره. وعليه قوله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) حيث قال في المرة الأولى (إنا إليكم مرسلون) وفي الثانية (إنا إليكم لمرسلون) . وهذا يسمى إنكاريا.

إخراج الكلام على هذه الوجوه

وإخراج الكلام على هذه الوجوه إخراجا على مقتضى الظاهر وكثيرا ما يخرج على خلافه فقد:

١. ينزل غير السائل منزلة السائل، إذا قدم إليه ما يلوح له بحكم الخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب، كقوله تعالى (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) وقوله (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء). وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض.

٢. ينزل غير المنكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار كقوله:

(جاء شقيق عارضا رمحه ... إن بني عمك فهيم رماح)

فإن مجيئه هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رمحه عارضا دليل على إعجاب شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح .

٣. ينزل المنكر منزلة غير المنكر، إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار، مثل:

أ. ما يقال لمنكر الإسلام: الإسلام حق.

ب. قوله تعالى في حق القرآن (لا ريب فيه) .

ت. قوله تعالى (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) أكد إثبات الموت تأكيدين وإن كان مما لا ينكر لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت لتماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل ميتون دون تموتون كما سيأتي الفرق بينهما. وأكد إثبات البعث تأكيدا واحدا وإن كان مما ينكر لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديرا بأن لا ينكر بل إما أن يعترف به أو يتردد فيه فنزل المخاطبون منزلة المترددين تنبيها لهم على ظهور أدلته وحثا على النظر فيها. ولهذا جاء تبعثون على الأصل هذا كله اعتبارات الإثبات.

وقس عليه اعتبارات النفي كقولك ليس زيد أو ما زيد منطلقا أو بمنطلق ووالله ليس زيد أو ما زيد منطلقا أو بمنطلق وما ينطلق أو ما ينطلق زيد وما كان زيد ينطلق وما كان زيد لينطلق ولا ينطلق زيد ولن ينطلق زيد ووالله ما ينطلق أو ما أن ينطلق زيد.

فصل الإسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي

تعريف الحقيقة

أما الحقيقة فهي إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر والمراد بمعنى الفحل نحو المصدر واسم الفاعل. وقولنا: في الظاهر ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع وما لا يطابقه فهي أربعة أضرب:

١. ما يطابق الواقع واعتقاده، كقول المؤمن: أنبت الله البقل وشفى الله المريض.

٢. ما يطابق الواقع دون اعتقاده، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه: خالق الأفعال كلها هو الله تعالى .

٣. ما يطابق اعتقاده دون الواقع، مثل:

أ. قول الجاهل: شفى الطبيب المريض، معتقدا شفاء المريض من الطبيب.

ب. قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار (وما يهلكنا إلا الدهر). ولا يجوز أن يكون مجازا والإنكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ لما فيه من إيهام الخطأ بدليل قوله تعالى عقيبه (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) والمتجوز المخطىء في العبارة لا يوصف بالظن، وإنما الظان من يعتقد أن الأمر على ما قاله.

٤. ما لا يطابق شيئا منها كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب

تعريف المجاز

وأما المجاز فهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل. وللفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب، فإسناده إلى الفاعل إذا كان مبنيا له حقيقة كما مر، وكذا إلى المفعول إذا كان مبنيا له. وقولنا: ما هو له يشملها وإسنادها إلى غيرهما لمضاهاته لما هو له في ملابسة الفعل مجاز، كقولهم في:

١. المفعول به: (عيشة راضية) و (ماء دافق) وفي عكسه سيل مفعم.

٢. المصدر: شعر شاعر.

٣. الزمان: نهاره صائم وليله قائم.

٤. المكان: طريق سائر ونهر جار.

٥. السبب: بنى الأمير المدينة.

وقولنا: بتأويل، يخرج نحو قول الجاهل: شفى الطبيب المريض، فإن إسناده الشفاء إلى الطبيب ليس بتأويل ولهذا لم يحمل نحو قوله الشاعر الحماسي:

(أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشي)

على المجاز ما لم يعلم أو يظن أن قائله لم يرد ظاهره.

الإسناد العقلي

وسمى الإسناد في هذين القسمين (الحقيقة والمجاز) من الكلام عقليا لاستناده إلى العقل دون الوضع، لأن إسناد الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة، فلا يصير ضرب خبرا عن زيد بواضع اللغة، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلا له. وإنما الذي يعود إلى واضع اللغة أن ضرب الإثبات الضرب لا لإثبات الخروج، وأنه لإثباته في زمان ماض وليس لإثباته في زمان مستقبل. فأما تعيين من ثبت له فإنما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين. ولو كان لغويا لكان حكمنا بأنه مجاز في مثل قولنا: خط أو

أحسن مما وشى الربيع من جهة أن الفعل لا يصح إلا من الحي القادر حكما بأن اللغة أوجبت أن يختص الفعل بالحي القادر دون الجماد وذلك مما لا يشك في بطلانه.

أقوال العلماء فيه

١. السكاكي، الحقيقة العقلية: هي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه قال وإنما قلت ما عند المتكلم دون أن أقول ما عند العقل ليتناول كلام الجاهل إذا قال: شفى الطبيب المريض رائيا شفاء المريض من الطبيب حيث عد منه حقيقة مع أنه غير مفيد لما في العقل من الحكم فيه. وفيه نظر. وقال: المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول إفادة للخلاف لا بوساطة وضع كقولك: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا الخليفة الكعبة. قال: وإنما قلت خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه دون أن أقول خلاف ما عند العقل لئلا يمتنع طرده بما إذا قال الدهري عن اعتقاد أجهل وجاهل غيره: أنبت الربيع البقل رائيا إنباته من الربيع فإنه لا يسمى كلامه ذلك مجازا، وإن كان بخلاف العقل في نفس الأمر.

٢. الشيخ عبد القاهر، عرف الحقيقة العقلية بقوله: كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل واقع موقعه. فإن قوله: واقع موقعه معناه في نفس الأمر وهو بيان لما قبله.

٣. الزمخشري، عرف المجاز العقلي بقوله: أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له. فإن قوله: في الحقيقة معناه في نفس الأمر ونحو كسا الخليفة الكعبة إذا كان الإسناد فيه مجازا كذلك. ثم القول بأن الفعل موضع لاستعماله في القادر ضعيف وهو معترف بضعفه.

تنبيه

قد تبين بما ذكرنا أن المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي على ما ذكره السكاكي هو الكلام لا الإسناد، وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في مواضيع من دلائل الإعجاز. وعلى ما ذكرناه هو الإسناد لا الكلام، وهذا ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله عن الشيخ عبد القاهر وهو قول الزمخشري في الكشاف وقول غيره. وإنما اخترناه لأن نسبة المسمى حقيقة أو مجازا إلى العقل على هذا لنفسه بلا وساطة شيء، وعلى الأول لاشتماله على ما ينتسب إلى العقل أعني الإسناد.

أنواع المجاز العقلي باعتبار طرفيه

ثم المجاز العقلي باعتبار طرفيه أعني المسند والمسند إليه أربعة أقسام لا غير، لأنهما:

١. حقيقتان، كقولنا: أنبت الربيع البقل.

٢. مجازان، كقولنا: أحيا الأرض شباب الزمان.

٣. مختلفان، كقولنا:

أ. أنبت البقل شباب الزمان

ب. أحيا الأرض الربيع

ت. قول الرجل لصاحبه أحيتني رؤيتك أي آنستني وسرتني، فقد جعل الحاصل بالرؤية من الأنس والمسرة حياة، ثم جعل الرؤية فاعلة له.

ث. أهلك الناس الدينار والدرهم جعلت الفتنة إهلاكا، ثم أثبت الإهلاك فعلا للدنيا والدراهم.

ج. قوله تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) نسبت الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا فيها.

ح. قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم).

خ. قوله (يذبح أبناءهم) الفاعل غيره ونسب الفعل إليه لكونه الآمر به .

د. قوله (ينزع عنهما لباسهما) نسب النزع الذي هو فعل الله تعالى إلى إبليس لأن سببه أكل الشجرة وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لهما لمن الناصحين .

ذ. قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) نسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم لأن سببه كفرهم وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر.

ر. كقوله تعالى (يوما يجعل الولدان شيبا) نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه.

ز. قوله تعالى (وأخرجت الأرض أثقالها) .

س. قوله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا) .

ش. قوله (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا) .

ص. قوله (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)

قرينة المجاز العقلي

ولا بد له من قرينة إما:

١. لفظية، كما سبق في قول أبي النجم .

٢. غير لفظية، مثل:

أ. استحالة صدور المسند من المسند إليه المذكور أو قيامه به عقلا، كقولك: محبتك جاءت بي إليك، أو عادة، كقولك: هزم الأمير الجند، وكسا الخليفة الكعبة، وبنى الوزير القصر.

ب. صدور الكلام من الموحِّد في مثل قوله: أشاب الصغير البيت.

تنبيه

واعلم أن الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب أن يكون له فاعل في التقدير إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة لما يشعر بذلك تعريفه كما سبق. وذلك قد يكون:

١. ظاهرا، كما في قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) أي فما ربحوا في تجارتهم.

٢. خفيا، لا يظهر إلا بعد نظر وتأمل، كما في قولك: سرتني رؤيتك أي سرني الله وقت رؤيتك، كما تقول: أصل الحكم في أنبت الربيع البقل أنبت الله البقل وقت الربيع، وفي شفى الطبيب المريض:

شفى الله المريض عند علاج الطبيب. ونظيره: محبتك جاءت بي إليك أي جاءت بي نفسي إليك لمحبتك أي جئتك لمحبتك. وإنما قلنا أن الحكم فيهما مجاز لأن الفعلين فيهما مسندان إلى الداعي والداعي لا يكون فاعلا.

تنبيه

إنما لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان.

القول في أحوال المسند إليه

حذف المسند إليه

أما حذفه فإما للأمور الآتية:

١. مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر.
٢. ذلك مع ضيق المقام.
٣. التخييل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل وأن في ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين.
٤. اختبار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبهه.
٥. الإيهام أن في تركه تطهيرا له عن لسانك أو تطهيرا للسانك عنه.
٦. أن يكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة.
٧. أن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء.
٨. اعتبار آخر مناسب لا يهدي إلى مثله إلا العقل السليم والطبع المستقيم.

وعليه قوله تعالى (صم بكم عمي) وقوله تعالى (وما أدراك ماهية نار حامية). وقيام القرينة شرط في الجميع.

ذكر المسند إليه

وأما ذكره فللآتي:

١. أنه الأصل ولا مقتضى للحذف.
٢. الاحتياط لضعف التعويل على القرينة.
٣. التنبيه على غباوة السامع.
٤. زيادة الإيضاح والتقرير.
٥. إظهار تعظيمه أو إهانته كما في بعض الأسامي المحمودة أو المذمومة.
٦. التبرك بذكره.
٧. الاستلذاذ به.

٨. بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب، كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (هي عصاي) ولهذا زاد على الجواب

تعريف المسند إليه

وأما تعريفه لتكون الفائدة أتم لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى، ومتى كان أقرب كان أضعف، وبعده بحسب تخصيص المسند إليه. والمسند كلما ازداد تخصيصا ازداد الحكم بعدا، وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا. وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قولنا شيء ما موجود وفي قولنا فلان ابن فلان يحفظ الكتاب والتخصيص كما له بالتعريف. ثم التعريف مختلف، فإن كان بـ:

١. الإضمار، فللآتي:

أ. أن المقام مقام التكلم، كقول بشار:

(أنا المرعث لا أخفي على أحد ... ذرت بي الشمس للقاصي وللداني).

ب. أن المقام مقام الخطاب، كقول الحماسية:

(وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم) .

وأصل الخطاب أن يكون لمعين وقد يترك إلى غير معين كما تقول: فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد مخاطبا بعينه، بل تريد إن أكرم أو أحسن فتخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم، أي سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) أخرج في صورة الخطاب لما أريد العموم للقصد إلى تفظيع حالهم وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا تختص بها رؤية راء بل كل من يتأتى منه رؤية داخل في هذا الخطاب.

ت. أن المقام مقام الغيبة، لكون المسند إليه مذكورا أو في حكم المذكور لقرينة، كقوله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل، وقوله تعالى (ولأبويه لكل واحد منهما السدس) أي ولأبوي الميت.

٢. العملية، فللآتي:

أ. إحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص به كقوله تعالى (قل هو الله أحد).

ب. تعظيمه أو لإهانته كما في الكنى والألقاب المحمودة والمذمومة .

ت. الكناية حيث الاسم صالح لها. ومما ورد صالحا للكناية من غير باب المسند إليه قوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) أي جهنمي.

ث. إيهام استلذاذه أو التبرك به.

ج. اعتبار آخر مناسب.

٣. الموصولية، فللآتي:

أ. عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، كقولك: الذي كان معنا أمس رجل عالم.

ب. استهجان التصريح بالاسم .

ت. زيادة التقرير نحو قوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز وغيره.

ث. التفخيم، كقوله تعالى (فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقوله تعالى (فغشاها ما غشى) .

ج. تنبيه المخاطب على خطأ كقول الآخر:

(إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا)

ح. الإيماء إلى وجه بناء الخبر، نحو (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين).

خ. إنه ربما جعل ذريعة إلى التعويض بالتعظيم لشأن الخبر، كقوله:

(إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول)

د. إنه ربما جعل ذريعة إلى التعويض بالتعظيم لشأن غيره، نحو (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين)

ذ. ربما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، كقوله:

(إن التي ضربت بيتا مهاجرة ... بكوفة الجند غالت ودها غول)

قاله السكاكي.

ر. ربما جعل ذريعة إلى التنبيه للمخاطب على خطأ كقوله:

(إن الذين ترونهم . . .) البيت

وفيه نظر إذ لا يظهر بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر فرق فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثاني.

٤. الإشارة، فللآتي:

أ. تمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حسا كقوله:

(هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ...)

ب. القصد إلى أن السامع غبي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحسن كقول الفرزدق:

(أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع) .

ت. بيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط، كقولك: هذا زيد وذاك عمرو وذاك بشر. وتفصيل ذلك كالآتي:

a) ربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير كقوله تعالى (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم) وقوله تعالى (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا) وقوله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب). وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى (ماذا أراد الله بهذا مثلا).

b) ربما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم، كقوله تعالى (آلم ذلك الكتاب) ذهابا إلى بعد درجته ونحوه (وتلك الجنة التي أورثتموها) ولذا قالت (فذلكن الذي لمتنني فيه) لم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن وتمهيدا للعذر في الافتتان به.

c) قد يجعل البعد ذريعة إلى التحقير كما يقال: ذلك اللعين فعل كذا .

ث. التنبيه إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور وعقب بأوصاف على أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف كقول حاتم الطائي :

(ولله صعلوك يساور همه ويمضي ... على الأحداث والدهر مقدما) .

ج. اعتبار آخر مناسب.

٥. اللام (أل للتعريف)، فللآتي:

أ. الإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطبك، كما إذا قال لك قائل: جاءني رجل من قبيلة كذا فتقول ما فعل الرجل. وعليه قوله تعالى (وليس الذكر كالأنثى) أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها.

ب. إرادة نفس الحقيقة، كقولك: الرجل خير من المرأة، والدينار خير من الدرهم. وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس الذي هو الماء روي أنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه. ونحوه (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة).

فوائد أل

والمعرف باللام قد يأتي لواحد باعتبار:

a) عهديته في الذهن لمطابقته الحقيقة، كقولك أدخل السوق وليس بينك وبين مخاطبك سوق معهود في الخارج وعليه قول الشاعر:

(ولقد أمر على اللئيم يسبني ...) .

وهذا يقرب في المعنى من النكرة ولذلك يقدر يسبني وصفا للئيم لا حالا.

b) الاستغراق، وذلك إذا امتنع حمله على غير الإفراد وعلى بعضها دون بعض، كقوله تعالى (إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) . والاستغراق ضربان:

a. حقيقي، كقوله تعالى: (عالم الغيب والشهادة) أي كل غيب وشهادة.

b. عرفي، كقولنا: جمع الأمير الصاغة إذا جمع صاغة بلده أو أطراف مملكته فحسب لا صاغة الدنيا.

واستغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع بدليل أنه لا يصدق لا رجل في الدار في نفي الجنس إذا كان فيها رجل أو رجلان ويصدق لا رجال في الدار. ولا تنافي بين الاستغراق وإفراد اسم الجنس لأن الحرف إنما يدخل عليه مجردا على الدلالة على الوحدة والتعدد ولأنه بمعنى كل الإفرادي لا كل المجموعي أي معنى قولنا الرجل كل فرد من أفراد الرجال لا مجموع الرجال، ولهذا امتنع وصفه بنعت الجمع.

c) المحافظة على التشاكل بين الصفة والموصوف أيضا، فالحاصل أن المراد باسم الجنس المعرف باللام إما نفس الحقيقة لأن ما يصدق عليه من الأفراد وهو تعريف الجنس والحقيقة. ونحوه علم الجنس كأسامة، وإما فرد معين وهو العهد الخارجي ونحوه العلم الخاص كزيد، وإما فرد غير معين وهو العهد الذهني ونحوه النكرة كرجل، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق ونحوه لفظ كل مضافا إلى النكرة كقولنا كل رجل.

٦. الإضافة، فللآتي:

أ. أنه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخصر منها كقوله:

(هواي مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب وجثماني بمكة موثق) .

ب. إغنائها عن تفصيل معتذر أو مرجوح لجهة كقوله:

(بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها في غيل خفان أشبل).

ت. تضمنها تعظيما لشأن المضاف إليه، كقولك: عبدي حضر فتعظم شأنك.

ث. تضمنها تعظيما لشأن المضاف، كقولك: عبد الخليفة ركب، فتعظم شأن العبد .

ج. تضمنها تعظيما لشأن غيرهما، كقولك: عبد السلطان عند فلان فتعظم شأن فلان .

ح. تحقيرا، نحو: ولد الحجام حضر.

خ. اعتبار آخر مناسب

تنكير المسند إليه

وأما تنكيره فللآتي:

١. إفراد، كقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) أي فرد من أشخاص الرجال، وقوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل).

٢. النوعية، مثل:

أ. قوله تعالى (وعلى أبصارهم غشاوة) أي نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله.

ب. قوله تعالى (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) أي نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزائدة كأنه قيل ولتجدنهم أحرص الناس وإن عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة في المستقبل، فإن الإنسان لا يوصف بالحرص على شيء إلا إذا لم يكن ذلك الشيء موجودا له حال وصفه بالحرص عليه.

ت. قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) يحتمل الإفراد والنوعية أي خلق كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياة .

٣. التعظيم والتهويل .

٤. التحقير، أي ارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حد لا يمكن معه أن يعرف كقول ابن أبي السمط: (له حاجب في كل أمر يشينه ... وليس له عن طالب العرف حاجب) أي له حاجب أي حاجب وليس له حاجب ما.

٥. التكثير، كقولهم: إن له لإبلا وإن له لغنما يريدون الكثرة.

٦. التقليل، كقوله تعالى (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر) أي وشيء ما من رضوانه أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم، وإنما تهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت.

وصف المسند إليه

وأما وصفه فللآتي:

١. كون الوصف تفسيرا له كاشفا عن معناه، كقولك: الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله. وكذا قوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) قال الزمخشري الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير.

٢. كونه مخصصا له، نحو: زيد التاجر عندنا.

٣. كونه مدحا له، كقولنا: جاء زيد العالم حيث يتعين فيه زيد قبل ذكر العالم ونحوه من غيره قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وقوله تعالى (هو الله الخالق البارىء المصور) .

٤. كونه ذما له، كقولنا: ذهب زيد الفاسق حيث يتعين فيه زيد قبل ذكر الفاسق ونحوه من غيره قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) .

٥. كونه تأكيدا له، كقولك: أمس الدابر كان يوما عظيما.

٦. كونه بيانا له، كقوله تعالى (لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد).

تنبيه

واعلم أن الحملة قد تقع صفة للنكرة وشرطها أن تكون خبرية لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر فلم يستقم أن تكون إنشائية مثله.

توكيد المسند إليه

وأما توكيده فللآتي:

١. التقرير كما سيأتي في باب تقديم الفعل وتأخيره.
٢. دفع توهم التجوز أو السهو كقولك: عرفت أنا وعرفت أنت وعرف زيد .
٣. عدم الشمول، كقوله: عرفني الرجلان كلاهما أو الرجال كلهم.

بيان وتفسير المسند إليه

وأما بيانه وتفسيره فلإيضاحه باسم مختص به كقولك: قدم صديقك خالد.

إبدال المسند إليه

وأما الإبدال منه فلزيادة التقرير والإيضاح نحو: جاءني زيد أخوك، وجاء القوم أكثرهم، وسلب عمرو ثوبه. ومنه في غيره قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم).

عطف المسند إليه

وأما العطف فللآتي:

١. تفصيل المسند إليه مع اختصار، نحو: جاء زيد وعمرو وخالد.
٢. تفصيل المسند إليه مع اختصار، نحو: جاء زيد فعمرو أو ثم عمرو أو جاء القوم حتى خالد، ولا بد في حتى من التدريج.
٣. رد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب، كقوله: جاءني زيد لا عمرو لمن اعتقد أن عمرا جاءك دون زيد، أو أنهما جاءاك جميعا. وقولك: ما جاءني زيد لكن عمرو لمن اعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو.
٤. صرف الحكم عن محكوم له إلى آخر، نحو: جاءني زيد بل عمرو، وما جاءني زيد بل عمرو.
٥. الشك فيه أو التشكيك، نحو: جاءني زيد أو عمرو أو إما زيد وإما عمرو، أو إما زيد أو عمرو .
٦. الإيهام، كقوله تعالى (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) .
٧. الإباحة أو التخيير وهو أن يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين أو الأشياء فحسب، مثالهما قولك: ليدخل الدار زيد أو عمرو. والفرق بينهما واضح، فإن الإباحة لا تمنع من الإتيان بهما أو بها جميعا

توسط الفصل بين المسند إليه وبين المسند

وأما توسط الفصل بينه وبين المسند فلتخصصه به كقولك: زيد هو المنطلق، أو هو أفضل من عمرو أو خير منه أو هو يذهب.

تقديم المسند إليه

وأما تقديمه فللآتي:

١. كون ذكره أهم إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه كقوله :

(والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد)

وهذا أولى من جعله شاهدا لكون المسند إليه موصولا كما فعل السكاكي.

٢. تعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحا للتفاؤل أو التطير، نحو: سعد في دارك والسفاح في دار صديقك.

٣. الإيهام أنه لا يزول عن الخاطر أو أنه يستلذ فهو إلى الذكر أقرب، أو لنحو ذلك.

٤. أن كونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر كما إذا قيل له: كيف الزاهد؟ فيقول: الزاهد يشرب ويطرب. قاله السكاكي.

٥. أنه يفيد زيادة تخصيص كقوله:

(متى تهززبني قطن تجدهم ... سيوفا في عواتقهم سيوف)

(جلوس في مجالسهم رزان ... وإن ضيف ألم فهم خفوف)

والمراد هم خفوف وفيه نظر.

٦. تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولى حرف النفي، كقولك: ما أنا قلت هذا أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فلا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول وأنت تريد نفي كونك قائلا له، قاله عبد القاهر.

ومما يرى تقديمه كاللازم لفظ مثل إذا استعمل كناية من غير تعريض كما في قولنا: مثلك لا يبخل ونحوه مما لا يراد بلفظ مثل غير ما أضيف إليه، ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل.

تنبيه

ومما يجب التنبيه له في فصل التقديم أصل وهو أن تقديم الشيء على الشيء ضربان:

١. تقديم على نية التأخير، وذلك في شيء أقر مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل، كقولك: قائم زيد، وضرب عمرا زيد، فإن قائم وعمرا لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مسندا ومرفوعا بذلك، وكون هذا مفعولا ومنصوبا من أجله.

٢. تقديم لا على نية التأخير، ولكن أن ينقل الشيء عن حكم إلى حكم ويجعل له إعراب غير إعرابه كما في اسمين يحتمل كل منهما أن يجعل مبتدأ والآخر خبرا له، فيقدم تارة هذا على هذا وأخرى ذاك على هذا، كقولنا: زيد المنطلق والمنطلق زيد، فإن المنطلق لم يقدم على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن ينقل عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ وكذا القول في تأخير زيد.

تأخير المسند إليه

وأما تأخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسند. هذا كله مقتضى الظاهر، وقد يخرج المسند إليه على خلافه، فـ:

١. يوضع المضمر موضع المظهر، مثل:

أ. قولهم ابتداء من غير جري ذكر لفظا أو قرينة حال: نعم رجلا زيد، وبئس رجلا عمرو، مكان: نعم الرجل وبئس الرجل على قول من لا يرى الأصل زيد نعم رجلا وعمرو بئس رجلا.

ب. قولهم: هو زيد عالم وهي عمرو شجاع مكان الشأن زيد العالم والقصة عمرو وشجاع ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظرا لعقبى الكلام كيف تكون فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة.

ت. قال الله تعالى (قل هو الله أحد) وقال (إنه لا يفلح الكافرون) وقال (فإنها لا تعمى الأبصار)

٢. يوضع المظهر موضع المضمر، فإن كان المظهر:

أ. اسم إشارة، فذلك إما للآتي:

a) كمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع كقوله:

(كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا)

(هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا)

b) التهكم بالسامع كما إذا كان فاقد البصر أو لم يكن ثم مشار إليه أصلا.

c) النداء على كمال بلادته بأنه لا يدرك غير المحسوس بالبصر.

d) النداء على كمال فطانته بأن غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره.

e) الادعاء أنه كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر. ومنه في غير باب المسند إلى قوله:

(تعاللت كي أشجي وما بك علة ... تريدين قتلي قد ظفرت بذلك)

f) نحو ذلك

ب. غير اسم إشارة، فالعدول إليه عن المضمر إما للآتي:

a) زيادة التمكين كقوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد) ونظيره من غيره قوله (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وقوله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا) .

b) إدخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة.

c) تقوية داعي المأمور مثالهما قول الخلفاء: أمير المؤمنين يأمرك بكذا. وعليه من غيره (فإذا عزمت فتوكل على الله).

d) الاستعطاف كقوله:

(إلهي عبدك العاصي أتاكا ...) .

e) نحو ذلك.

الالتفات

قال السكاكي هذا غير مختص بالمسند إليه ولا بهذا القدر، بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني. والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، وهذا أخص من تفسير السكاكي لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها. فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس.

أنواع الالتفات

مثال الالتفات من:

١. التكلم إلى الخطاب، قوله تعالى (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون).

٢. التكلم إلى الغيبة، قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر).

٣. الخطاب إلى التكلم، قول علقمة بن عبدة:

(طحا بك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب)

(يكلفني ليلى وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب) .

٤. الخطاب إلى الغيبة، قوله تعالى (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم).

٥. الغيبة إلى التكلم، قوله تعالى (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه).

٦. الغيبة إلى الخطاب، قوله تعالى (مالك يوم الدين إياك نعبد)

وجه حسن الالتفات

واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد. وقد تختص مواقعه بلطائف كما في سورة الفاتحة، فبيانه:

- إن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله: الحمد لله الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به وجد من نفسه لا محالة محركا للإقبال عليه.
- فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله: رب العالمين الدال على أنه مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته قوي ذلك المحرم.
- ثم إذا انتقل إلى قوله: الرحمن الرحيم الدال على أنه منعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك المحرك.
- ثم إذا انتقل إلى خاتمه هذه الصفات العظام وهي قوله: مالك يوم الدين الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تناهت قوته وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات.

وكما في قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) لم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان

الأسلوب الحكيم

ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكي الأسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له. أما الأول فكقول القبعثري للحجاج لما قاله له متوعدا بالقيد لأحملنك على الأدهم مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فإنه أبرز وعيده في معرض الوعد وأراه بألطف وجه أن من كان على صفته في السلطان وبسطة اليد فجدير بأن يصفد لا أن يصفد. وكذا قوله له لما قال له في الثانية إنه حديد لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا. وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة.

وأما الثاني فكقوله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلىء ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ. وكقوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف.

التعبير عن المستقبل بلفظ المضي

ومن خلاف المقتضى التعبير عن المستقبل بلفظ المضي تنبيها على تحقق وقوعه، وأن ما هو للوقوع كالواقع، مثل:

- قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله)
- قوله (ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا)
- قوله تعالى (ونادى أصحاب النار)

- قوله تعالى (ونادى أصحاب الأعراف) جعل المتوقع الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع

التعبير عن المستقبل باسم الفاعل واسم المفعول

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل كقوله تعالى (وإن الدين لواقع) وكذا اسم المفعول كقوله تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود).

القلب

ومنه القلب كقول العرب: عرضت الناقة على الحوض، ورده مطلقا قوم وقبله مطلقا قوم منهم السكاكي. والحق أنه إن تضمن اعتبارا لطيفا قبل وإلا رد. أما الأول فكقول رؤبة:

(ومهمه مغبرة أرجاؤه ... كأن لون أرضه سماؤه)

أي كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه للمبالغة.

وأما الثاني فقول حسان:

(يكون مزاجها عسل وماء ...)

القول في أحوال المسند

أما تركه فلنحو ما سبق في باب المسند إليه من:

١. تخييل العدول إلى أقوى الدليلين.
٢. اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة أو مقدار تنبهه.
٣. الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام كقوله:

(نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف)

أي ونحن بما عندنا راضون.

٤. الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر بدون الضيق، كقوله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) على وجه أي والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك. ويجوز أن يكون جملة واحدة، وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد. وعليه قوله تعالى (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) أي واللائي لم يحضن مثلهن.

تنبيه

واعلم أن الحذف لا بد له من قرينة كوقوع الكلام جوابا عن سؤال إما:

١. محقق، كقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقوله (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله).
٢. مقدَّر، نحو: (لبيك يزيد ضارع لخصومة ...)

ذكر المسند

وأما ذكره فإما لنحو ما مر في باب المسند إليه من:

١. زيادة التقرير
٢. التعريض بغباوة السامع
٣. الاستلذاذ والتعظيم والإهانة وبسط الكلام
٤. ليتعين كونه اسما فيستفاد منه الثبوت، أو كونه فعلا فيستفاد منه التجدد، أو كونه ظرفا فيورث احتمال الثبوت والتجدد. وإما لنحو ذلك.
٥. التعجب من المسند إليه بذكره كما إذا قلت زيد يقاوم الأسد مع دلالة قرائن الأحوال. قاله السكاكي. وفيه نظر لحصول التعجب بدون الذكر إذا قامت القرينة.

إفراد المسند

وأما إفراده فلكونه غير سببي مع عدم إفادة تقوي الحكم، كقولك: زيد منطلق وقام عمرو. والمراد بالسببي نحو: زيد أبوه منطلق. قال السكاكي وأما الحالة المقتضية لإفراده فهي إذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوي الحكم. وأعني بالمسند الفعلي ما لم يكن مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك: أبو زيد منطلق والكر من البر بستين وضرب أخو عمرو ويشكرك بكر أن تعطه وفي الدار خالد إذ تقديره استقر أو حصل في الدار على أقوى الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف. وفيه نظر.

كون المسند فعلا أو اسما

وأما كونه فعلا فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن مع إفادة التجدد. وأما كونه اسما فلإفادة عدم التقييد والتجدد. ومن البين فيهما قول الشاعر:

(لا يألف الدرهم المضروب صرتنا ... لكن يمر عليها وهو منطلق)

إذ المعنى على انطلاق ثابت للدرهم مطلقا من غير اعتبار تجدده وحدوثه.

تقييد الفعل بمفعول ونحوه

وأما تقييد الفعل بمفعول ونحوه فلتربية الفائدة، كقولك: ضربت ضربا شديدا، وضربت زيدا، وضربت يوم الجمعة، وضربت أمامك، وضربت تأديبا وضربت بالسوط، وجلست والسارية، وجاء زيد راكبا، وطاب زيد نفسا، وما ضرب إلا زيدا، وما ضربت إلا زيدا. والمقيد في نحو كان زيد قائما هو قائما لا كان.

ترك تقييد الفعل

وأما ترك تقييده فلمانع من تربية الفائدة.

تقييد الفعل بالشرط

وأما تقييده بالشرط فلاعتبارات لا تعرف إلا بمعرفة ما بين أدواته من التفصيل، وقد بين ذلك في علم النحو، ولكن لا بد من النظر ههنا في أن وإذا ولو. وتفصيله كالآتي:

١. إن وإذا، فهما للشرط في الاستقبال لكنهما يفترقان في شيء وهو أن الأصل في (إن) لا يكون الشرط فيهما مقطوعا بوقوعه كما تقول لصاحبك: إن تكرمني أكرمك، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك. والأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه، كما تقول: إذا زالت الشمس آتك. ولذلك كان الحكم النادر موقعا لأن النادر غير مقطوع به في غالب الأمر، وغلب لفظ الماضي مع (إذا) لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظرا إلى اللفظ، ومثاله:

أ. قال الله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) أتي في جانب الحسنة بلفظ (إذا) لأن المراد بالحسنة الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به ولذلك عرفت تعريف الجنس. وأتى في جانب السيئة بلفظ (إن) لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، ولذلك نكرت.

ب. قوله تعالى (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) أتى بإذا في جانب الرحمة. وأما تنكيرها فجعله السكاكي للتوعية نظرا إلى لفظ الإذاقة، وجعله للتقليل نظرا إلى لفظ الإذاقة كما قال أقرب.

استعمال (إن) في مقام القطع

وقد تستعمل (إن) في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة، مثل:

a) التجاهل لاستدعاء المقام إياه.

b) عدم جزم المخاطب، كقولك لمن يكذبك فيما تخبر إن صدقت فقل ماذا تفعل.

c) تنزيله منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم، كما تقول لمن يؤذي أباه: إن كان أباك فلا تؤذه.

d) التوبيخ على الشرط وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله لا يصح إلا لفرضه كما يفرض المحال لفرض قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) فيمن قرأ إن بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الإسراف وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الانتفاء حقيقي أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض.

e) تغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به. ومجيء قوله تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) بأن يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها. ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم فإنه كان

فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عنادا. وكذلك قوله تعالى (إن كنتم في ريب من البعث).

التغليب

والتغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة، مثل:

- ✓ قوله تعالى (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) أدخل شعيب عليه السلام في لتعودن في ملتنا بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلا.
- ✓ قوله تعالى (إن عدنا في ملتكم) .
- ✓ قوله تعالى (وكانت من القانتين) عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب.
- ✓ قوله تعالى (فسجدوا إلا إبليس) عد إبليس من الملائكة بحكم التغليب.
- ✓ قوله تعالى (بل أنتم قوم تجهلون) بتاء الخطاب غلب جانب أنتم على جانب قوم.
- ✓ قوله تعالى (وما ربك بغافل عما تعملون) فيمن قرأ بالتاء.

٢. لو، فهي للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء كانتفاء الإكرام في قولك: لو جئتني لأكرمتك. ولذلك قيل هي لامتناع الشيء لامتناع غيره. ويلزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضيا، فدخولها على المضارع في نحو قوله تعالى (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا. ودخولها عليه في نحو قوله تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم) لتنزيله منزلة الماضي لصدوره عمن لا خلاف في أخباره.

تنبيه

واعلم أنه لما كانت هاتان الكلمتان (إن وإذا) لتعليق أمر بغيره أعني الجزاء بالشرط في الاستقبال امتنع في كل واحدة من جملتيهما الثبوت وفي أفعالهما المضي أعني أن تكون كلتا الجملتين أو إحداهما اسمية أو كلا الفعلين أو أحدهما ماضيا ولا يخالف ذلك لفظا، نحو: إن أكرمتني أكرمتك، وإن أكرمتني أكرمك، وإن تكرمني أكرمتك، وإن تكرمني فأنت مكرم، وإن أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس، إلا لنكتة ما مثل:

١. إبراز غير الحاصل في صورة الحاصل إما لقوة الأسباب المتآخذة في وقوعه كقولك: إن اشترينا كذا حال انعقاد الأسباب في ذلك.
٢. أن ما هو الموقوع كالواقع كقولك: إن مت كان كذا وكذا كما سبق.
٣. التفاؤل.
٤. إظهار الرغبة في وقوعه، نحو: إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام، فإن الطالب إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه فربما يخيل إليه حاصلا، وعليه قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على

البغاء إن أردن تحصنا) وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حكم الحس بخلاف حكمه غلطه تارة واستخرج له محملا أخرى.

٥. التعريض كما في قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك)، قاله السكاكي.

تنكير المسند

وأما تنكيره فللآتي:

١. إرادة عدم الحصر والعهد، كقولك: زيد كاتب وعمرو شاعر.

٢. التنبيه على ارتفاع شأنه أو انحطاطه على ما مر في المسند إليه كقوله تعالى (هدى للمتقين) أي هدى لا يكتنه كنهه

تخصيص المسند بالإضافة أو الوصف

وأما تخصيصه بالإضافة أو الوصف فلتكون الفائدة أتم كما مر وأما ترك تخصيصه بهما فظاهر مما سبق.

تعريف المسند

وأما تعريفه فلإفادة السامع إما حكما على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك وإما لازم حكم بين أمرين. كذلك تفسير هذا أنه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالما باتصافه بإحداهما دون الأخرى. فإذا أردت أن تخبره بأنه متصف بالأخرى تعمد إلى اللفظ الدال على الأولى وتجعله مبتدأ، وتعمد إلى اللفظ الدال على الثانية وتجعله خبرا، فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية.

التعريف بلام الجنس

ثم التعريف بلام الجنس قد لا يفيد قصر المعروف على ما حكم عليه به كقول الخنساء:

(إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا)

وقد يفيد قصره إما:

١. تحقيقا، كقولك: زيد الأمير إذا لم يكن أمير سواه.

٢. مبالغة لكمال معناه في المحكوم عليه، كقولك: عمرو الشجاع أي الكامل في الشجاعة فتخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال.

ثم المقصود قد يكون نفس الجنس مطلقا أي من غير اعتبار تقييده بشيء كما مر، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره، كقولك: هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا فإن المقصور هو الوفاء في هذا الوقت لا الوفاء مطلقا. وكقول الأعشى:

(هو الواهب المائة المصطفاة ... إما مخاضا وإما عشارا)

فإنه قصر هبة المائة من الإبل في إحدى الحالتين لا هبتها مطلقا ولا الهبة مطلقا وهذه الوجوه الثلاثة أعني العهد والجنس للقصر تحقيقا والجنس للقصر مبالغة تمنع جواز العطف بالفاء ونحوها ما حكم عليه بالمعرف بخلاف المنكر، فلا يقال: زيد المنطلق وعمرو ولا زيد الأمير وعمرو ولا زيد الشجاع وعمرو.

كون المسند جملة

وأما كونه جملة فللآتي:

١. إرادة تقوي الحكم بنفس التركيب كما سبق.
٢. كونه سببا وقد تقدم بيان ذلك.
٣. أن فعليتها لإفادة التجدد واسميتها لإفادة الثبوت. فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت. وعليهما:
   أ. قول رب العزة (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم)
   ب. قوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) إذ أصل الأول نسلم عليك سلاما. وتقدير الثاني سلام عليكم كأن إبراهيم عليه السلام قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى في قوله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها). وقد ذكر له وجه آخر فيه دقة غير أنه بأصول الفلاسفة أشبه وهو أن التسليم دعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل نقص وهذا أطلق وكمال الملائكة لا يتصور فيه التجدد لأن حصوله بالفعل مقارن لوجودهم فناسب أن يحيوا بما يدل على الثبوت دون التجدد وكمال الإنسان متجدد لأنه بالقوة وخروجه إلى الفعل بالتدريج فناسب أن يحيا بما يدل على التجدد دون الثبوت وفيه نظر.
   ت. قوله تعالى (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) أي أحدثتم دعاءهم أم استمر صمتكم عنه فإنه كانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعائهم فقيل لم يفترق الحال بين إحداثكم دعائهم وما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم.
   ث. قوله تعالى (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) أي أحدثت عندنا تعاطي الحق فيما نسمعه منك أم اللعب أي أحوال الصبا بعد مستمرة عليك.
   ج. قوله تعالى (وما هم بمؤمنين) في جواب آمنا بالله وباليوم الاخر فلإخراج ذواتهم من جنس المؤمنين مبالغة في تكذيبهم ولهذا أطلق قوله مؤمنين وأكد نفيه بالباء. ونحو (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) وشرطيتها لما مر. وظرفيتها لاختصار الفعلية إذ هي مقدرة بالفعل على الأصح. وأما تأخيره فلأن ذكر المسند أهم كما سبق.

تقديم المسند

وأما تقديمه فللآتي:

١. تخصيصه بالمسند إليه كقوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وقولك قائم هو لمن يقول: زيد إما قائم أو قاعد فيردده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحدهما .
٢. التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين).
٣. التفاؤل.
٤. التشويق إلى ذكر المسند إليه كقوله:

(ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر)

تنبيه

كثير مما في هذا الباب والذي قبله غير مختص بالمسند إليه والمسند كالذكر والحذف وغيرهما مما تقدمت أمثلته، والفطن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما لا يخفى عليه اعتباره في غيرهما.

القول في أحوال متعلقات الفعل

حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل، فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط، كذلك إذا عديته إلى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط. فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه. أما إذا أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم ممن وقع في نفسه أو على من وقع فالعبارة عنه أن يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو جد أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد.

عدم ذكر المفعول به

الفعل المتعدي إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين:

١. أن يكون الغرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل على الإطلاق أو نفيه عنه. كذلك وقولنا: على الإطلاق أي من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه، فيكون المتعدي حينئذ بمنزلة اللازم، فلا يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول، ولا يقدر أيضا لأن المقدر في حكم المذكور. وهذا الضرب قسمان لأنه إما:
   أ. أن يجعل الفعل مطلقا كناية عن الفعل متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة .
   ب. أن لا يكون كذلك، كقوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أي من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث.
٢. أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول فيجب تقديره بحسب القرائن ثم حذفه من اللفظ، وهو للآتي:
   أ. البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة، كقولك: لو شئت جئت أو لم أجيء، أي لو شئت المجيء أو عدم المجيء، فإنك متى قلت لو شئت علم

السامع أنك علقت المشيئة بشيء فيقع في نفسه أن هنا شيئا تعلقت به مشيئتك بأن يكون أو لا يكون. فإذا قلت جئت أو لم أجىء عرف ذلك الشيء. ومنه قوله تعالى (فلو شاء لهداكم أجمعين) وقوله تعالى (فإن يشأ الله يختم على قلبك) وقوله تعالى (من يشأ الله يضلله) . فإن كان في تعليق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره في نفس السامع وتؤنسه به يقول الرجل يخبره عن عزه: لو شئت أن أرد على الأمير رددت وإن شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته.

ب. دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد كقول البحتري:

(وكم ذدت عني من تحامل حادث ... وسورة أيام حززن إلى العظم)

إذ لو قال حززن اللحم لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم حتى لم يرده إلا العظم.

ت. أنه أريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهارا لكمال العناية بوقوعه عليه، كقول البحتري أيضا:

(قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد ... والمجد والمكارم مثلا)

أي قد طلبنا لك مثلا في السؤدد والمجد والمكارم فحذف المثل إذا كان غرضه أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل.

ث. القصد إلى التعميم في المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار، كما تقول: قد كان منك ما يؤلم أي ما الشرط في مثله أن يؤلم كل أحد وكل إنسان، وعليه قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام) أي يدعو كل أحد.

ج. الرعاية على الفاصلة كقوله سبحانه وتعالى (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) أي وما قلاك.

ح. استهجان ذكره كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما رأيت منه ولا رأى مني تعني العورة.

خ. مجرد الاختصار، كقولك: أصغيت إليه أي أذني وأغضيت عليه أي بصري. ومنه قوله تعالى (أرني أنظر إليك) أي ذاتك وقوله تعالى (أهذا الذي بعث الله رسولا) أي بعثه الله وقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أي أنه لا يماثل أو ما بينه وبينها من التفاوت أو أنها لا تفعل كفعله كقوله تعالى (قل هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) ويحتمل أن يكون المقصود نفس الفعل من غير تعميم أي وأنتم من أهل العلم والمعرفة ثم ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل.

د. مجرد الاختصار قوله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما) قاله السكاكي.

تقديم مفعول الفعل

وأما تقديم مفعوله ونحوه عليه فلرد الخطأ في التعيين، كقولك: زيدا عرفت لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا وأنه غير زيد وأصاب في الأول دون الثاني وتقول لتأكيده وتقريره زيدا عرفت لا غيره. ولذلك لا يصح أن يقال ما زيدا ضربت ولا أحدا من الناس لتناقض دلالتي الأول والثاني ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده كقولك: ما زيدا ضربت ولكن أكرمته لأن مبني الكلام ليس على أن الخطأ في الضرب فترده إلى الصواب في الإكرام. وإنما هو على الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد فرده إلى الصواب أن تقول ولكن عمرا. وأما نحو قولك زيدا عرفته فإن قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب أي عرفت زيدا عرفته فهو من باب التوكيد أعني تكرير اللفظ وإن قدر بعده أي زيدا عرفت عرفته أفاد التخصيص.

تقديم بعض معمولاته على بعض

وأما تقديم بعض معمولاته على بعض فهو للآتي:

١. أن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول، نحو: ضرب زيد عمرا. وتقديم المفعول الأول على الثاني نحو أعطيت زيدا درهما.

٢. أن ذكره أهم والعناية به أتم فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه، كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث في البلاد وكثر منه الأذى فقتل وأردت أن تخبر بقتله فتقول: قتل الخارجيَ فلان بتقديم الخارجي إذ ليس للناس فائدة أن يعرفوا قاتله وإنما الذي يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره. ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه لا وقوعه على من وقع عليه، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر فيه أن يقتل فقتل رجلا وأردت أن تخبر بذلك فتقول: قتل فلان رجلا بتقديم القاتل لأن الذي يعني الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن. ومعلوم أنه لم يكن نادرا ولا بعيدا من حيث كان واقعا على من وقع عليه بل من حيث كان واقعا ممن وقع منه، وعليه قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى (من إملاق) فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم. والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله (خشية إملاق) فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

٣. أن في التأخير إخلالا ببيان المعنى كقوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) فإنه لو أخر من آل فرعون عن يكتم إيمانه لتوهم أن من متعلقة بيكتم فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون.

٤. أن في التأخير إخلالا بالتناسب كرعاية الفاصلة نحو (فأوجس في نفسه خيفة موسى) .

٥. اعتبار آخر مناسب.

القول في القصر

القصر إما:

١. حقيقي، وهو ضربان:

أ. قصر الموصوف على الصفة، والمراد الصفة المعنوية لا النعت، كقولك: ما زيد إلا كاتب، إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة. وهذا لا يكاد يوجد في الكلام لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر .

ب. قصر الصفة على الموصوف، وهو كثير كقولنا: ما في الدار إلا زيد.

والفرق بينهما ظاهر فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة وفي الثاني يمتنع وقد يقصد به المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم.

٢. غير حقيقي، وهو ضربان:

أ. قصر الموصوف على الصفة، وهو تخصيص أمر بصفة دون أخرى أو مكان أخرى.

ب. قصر الصفة على الموصوف، وهو تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكان آخر.

تقسيم آخر للقصر

فكل واحد منهما ضربان، والمخاطب بالأول من ضربي كل أعني تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر من يعتقد الشركة أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعا في الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعا بتلك الصفة في الثاني فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعي أن عمرا أيضا شاعرا. وهذا يسمى قصر إفراد لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة والمخاطب بالثاني من ضربي كل أعني تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر. أما من يعتقد العكس أي اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة عوضا عنها في الأول واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضا عنه في الثاني وهذا يسمى قصر القلب لقلبه حكم السامع. وأما من تساوى الأمران عنده أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني وهذا يسمى قصر تعيين، فالمخاطب بقولنا: ما زيد إلا قائم من يعتقد أن زيدا قاعد لا قائم أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه وبقولنا: ما قائم إلا زيد من يعتقد أن عمرا قائم لا زيدا أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما لكن لا يعلم من هو منهما بعينه.

شروط القصر في كل أنواعه

١. شرط قصر الموصوف على الصفة افرادا عدم تنافي الصفتين حتى تكون المنفية في قولنا: ما زيد إلا شاعر كونه كاتبا أو منجما أو نحو ذلك لا كونه مفحما لا يقول الشعر ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما.

٢. شرط قصره قلبا تحقق تنافيهما حتى تكون المنفية في قولنا: ما زيد إلا قائم كونه قاعدا أو جالسا أو نحو ذلك لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ليكون إثباتها مشعرا بانتفاء غيرها.

٣. قصر التعيين أعم لأن اعتقاد كون الشيء موصوفا بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معا ولا امتناعه.

وبهذا علم أن كل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين من غير عكس.

٤. في قصر الصفة على الموصوف إفرادا أو قلبا بحسب المقام زيد قائم لا عمرو أو ما عمرو قائما بل زيد.

أدوات القصر

ومنها:

١. النفي والاستثناء، كقولك في:

أ. قصر الموصوف على الصفة إفرادا: ما زيد إلا شاعرا،

ب. قصر الموصوف على الصفة قلبا: ما زيد إلا قائم،

ت. قصر الموصوف على الصفة تعيينا، نحو قوله تعالى (وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون) أي لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعي إذا ادعى بل أنتم عندنا كاذبون فيها.

ث. قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين: ما قائم أو ما من قائم أو لا قائم إلا زيد. وتحقيق وجه القصر في الأول أنه متى قيل ما زيد توجه النفي إلى صفته لا ذاته لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها، وإنما تنفي صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك. وإنما النزاع في كونه شاعرا أو كاتبا تناولهما النفي فإذا قيل إلا شاعر جاء القصر. وفي الثاني انه متى قيل ما شاعر فأدخل النفي على الوصف المسلم ثبوته أعني الشعر لغير من الكلام فيهما كزيد وعمرو مثلا توجه النفي إليهما. فإذا قيل: إلا زيد جاء القصر.

٢. إنما، كقولك في:

أ. قصر الموصوف على الصفة إفرادا: إنما زيد كاتب،

ب. قصر الموصوف على الصفة قلبا: إنما زيد قائم.

ت. قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين إنما قائم زيد. والدليل على أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى ما وإلا لقول المفسرين في قوله تعالى (إنما حرم عليكم الميتة والدم) بالنصب معناه ما حرم عليكم إلا الميتة وهو المطابق لقراءة الرفع لما مر في باب المنطلق زيد، ولقول النحاة إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه، ولصحة انفصال الضمير معها كقولك: إنما يضرب أنا كما تقول ما يضرب إلا أنا.

٣. التقديم، كقولك في:

أ. قصر الموصوف على الصفة إفرادا: شاعر هو لمن يعتقده شاعرا وكاتبا.

ب. قصر الموصوف على الصفة قلبا: قائم هو لمن يعتقده قاعدا .

ت. قصر الصفة على الموصوف إفرادا: أنا كفيت مهمك بمعنى وحدي لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمه.

ث. قصر الصفة على الموصوف قلبا: أنا كفيت مهمك بمعنى لا غيري لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم.

وهذه الطرق تختلف من وجوه:

a) أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع.

b) أن الأصل في الأول أن يدل على المثبت والمنفي جميعا بالنص فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار، كما إذا قيل: زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافي أو زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد فتقول فيهما زيد يعلم النحو لا غير. وفي معناه ليس إلا أي لا غير النحو ولا غير زيد. وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفي.

c) أن النفي لا يجامع الثاني لأن شرط المنفي بلا أن لا يكون منفيا قبلها بغيرها ويجامع الآخرين فيقال: إنما زيد كاتب لا شاعر وهو يأتيني لا عمرو ولأن النفي فيهما غير مصرح به كما يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو.

d) أن أصل الثاني أن يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكره، كقولك لصاحب وقد رأيت شبحا من بعيد ما هو إلا زيد إذا وجدته يعتقد غير زيد ويصر على الإنكار. وعليه قوله تعالى (وما من إله إلا الله) وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له الثاني إفرادا نحو (وما محمد إلا رسول قد خلت منه قبله الرسل) أي أنه على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الهلاك نزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه.

تنبيه

واعلم أن لطريق إنما مزية على طريق العطف وهي أنه يعقل منها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف. وإذا استقريت وجدتها أحسن ما يكون موقعا إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها كما في قوله تعالى (إنما يتذكر أولو الألباب) فإنه تعريض بذم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب.

مواقع القصر

ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما ذكرناه يقع بين الفعل والفاعل وغيرهما، ففي طريق النفي والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء، كقولك في:

١. قصر الفاعل على المفعول إفرادا أو قلبا بحسب المقام: ما ضرب زيد إلا عمرا وعلى الثاني لا الأول قوله تعالى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) لأنه ليس المعنى إني لم أزد على ما أمرتني به شيئا إذ ليس الكلام في أنه زاد شيئا على ذلك أو نقص منه ولكن المعنى: أني لم أترك ما أمرتني به أن أقول لهم إلى خلافه لأنه قاله في مقام اشتمل على معنى إنك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى ما لم آمرك أن تقوله فإني أمرتك أن تدعو الناس إلى أن يعبدوني ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا غيري بدليل قوله تعالى (ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله).
٢. قصر المفعول على الفاعل: ما ضرب عمرا إلا زيد .
٣. قصر المفعول الأول على الثاني في نحو: كسوت وظننت ما كسوت زيدا إلا جبة وما ظننت زيدا إلا منطلقا.
٤. قصر الثاني على الأول ما كسوت جبة إلا زيدا، وما ظننت منطلقا إلا زيدا.
٥. قصر ذي الحال على الحال ما جاء زيد إلا راكبا.
٦. قصر الحال على ذي الحال ما جاء راكبا إلا زيد.

والوجه في جميع ذلك أن النفي في الكلام الناقص أعني الاستثناء المفرغ يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه عام مناسب للمستثنى في جنسه وصفته. أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه فلكون إلا للإخراج واستدعاء الإخراج مخرجا منه. وأما عمومه فليتحقق الإخراج منه.

تنبيه

ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور كقولك ما ضرب إلا عمرا زيد وما ضرب إلا زيد عمرا وما كسوت إلا جبة زيدا وما ظننت إلا زيدا منطلقا وما جاء إلا راكبا زيد وما جاء إلا زيد راكبا. وقولنا بحالهما احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه

كقولك في الأول: ما ضرب عمرا إلا زيد فإنه يختل المعنى بالضابط أن الاختصاص إنما يقع في الذي يلي إلا ولكن استعمال هذا النوع أعني تقديمها قليل لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها.

وأما في إنما فيؤخر المقصور عليه تقول إنما زيد ثم وإنما ضرب زيد وإنما ضرب زيد عمرا وإنما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة وإنما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة في السوق أي ما زيد إلا قائم وما ضرب إلا زيد وما ضرب زيد إلا عمرا وما ضرب زيد عمرا إلا يوم الجمعة وما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة إلا في السوق فالواقع أخيرا هو المقصور عليه أبدا ولذلك تقول: إنما هذا لك وإنما لك هذا أي ما هذا إلا لك وما لك إلا هذا حتى إذا أردت الجمع بين إنما والعطف فقل إنما هذا لك لا لغيرك وإنما لك هذا لا ذاك وإنما أخذ زيد لا عمرو وإنما زيد يأخذ لا يعطي.

ومن هذا تعثر على الفرق بين قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقولنا إنما يخشى العلماء من عباد الله فإن الأول يقتضي قصر خشية الله على العلماء والثاني يقتضي قصر خشية العلماء على الله.

واعلم أن حكم غير حكم إلا في إفادة القصرين أي قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وفي امتناع مجامعة لا العاطفة تقول في قصر الموصوف إفرادا: ما زيد غير شاعر وقلبا ما زيد غير قائم، وفي قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام: لا شاعر غير زيد ولا تقول ما زيد غير شاعر لا كاتب ولا لا شاعر غير زيد لا عمرو.

القول في الإنشاء

الإنشاء ضربان:

١. طلب، والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود بالنظر ههنا. وأنواعه كثيرة منها:

أ. التمني، واللفظ الموضوع له ليت ولا يشترط في التمني الإمكان تقول: ليت زيدا يجيء وليت الشباب يعود. وقد يتمنى بالآتي:

a) هل، كقول القائل: هل لي من شفيع في مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه لإبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن. وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) .

b) لو، كقولك: لو تأتيني فتحدثني بالنصب.

c) لعل، فتعطي حكم ليت، نحو: لعلي أحج فأزورك بالنصب لبعد المرجو عن الحصول.

ب. الاستفهام، والألفاظ الموضوعة له الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان.

ت. الأمر، والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو: ليحضر زيد وغيرها نحو أكرم عمرا وزويد بكرا موضوعه لطلب الفعل استعلاء لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة. ثم إنها أعني صيغة الأمر قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام، منها:

a) الإباحة، كقولك في مقام الإذن جالس الحسن أو ابن سيرين.
b) التهديد، كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبه اشتم مولاك وعليه (اعملوا ما شئتم).
c) التعجيز، كقولك لمن يدعي أمرا تعتقد أنه ليس في وسعه افعله وعليه (فأتوا بسورة من مثله).
d) التسخير، نحو (كونوا قردة خاسئين).
e) الإهانة، نحو (كونوا حجارة أو حديدا) وقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم).
f) التسوية، كقوله (أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) وقوله (اصبروا أو لا تصبروا)
g) التمني، كقول امرىء القيس (ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ...) .
h) الدعاء إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع نحو: (رب اغفر لي ولوالدي).
i) الالتماس إذا استعملت فيه على سبيل التلطف، كقولك لمن يساويك في الرتبة: أفعل بدون الاستعلاء.
j) الاحتقار، نحو (ألقوا ما أنتم ملقون).

ث. النداء، وقد تستعمل صيغته في غير معناه كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم يا مظلوم والاختصاص في قولهم أنا أفعل كذا أيها الرجل ونحن نفعل كذا أيها القوم واغفر اللهم لنا أيتها العصابة أي متخصصا من بين الرجال ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب.

٢. غير طلب.

ألفاظ الاستفهام

الاستفهام والألفاظ الموضوعة له:

١. الهمزة، فهي للآتي:
   أ. طلب التصديق، كقولك: أقام زيد أزيد قائم؟.
   ب. طلب التصور، كقولك: أدبس في الإناء أم عسل وأفي الخابية دبسك أم في الزق.
٢. هل، وهل لطلب التصديق فحسب كقولك هل قام زيد وهل عمرو قاعد.
٣. ما، فقيل يطلب به إما:
   أ. شرح الاسم، كقولنا: ما العنقاء؟.

ب.ماهية المسمى، كقولنا: ما الحركة؟.

٤. من، للسؤال عن الجنس من ذوي العلم تقول من جبريل بمعنى أبشر هو أم مالك أم جني وكذا من إبليس ومن فلان ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون (فمن ربكما يا موسى) أي أملك هو أم بشر أم جني منكرا لأن يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه ذاهبا في سؤاله هذا إلى معنى ألكما رب سواي فأجاب موسى عليه السلام بقوله (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).

٥. أي، فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما يقول القائل عندي ثياب فتقول: أي الثياب هي فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية وفي التنزيل (أي الفريقين خير مقاما) أي نحن أم أصحاب محمد عليه السلام وفيه (أيكم يأتيني بعرشها) أي الإنسي أم الجني.

٦. كم، فللسؤال عن العدد إذا قلت: كم درهما لك وكم رجلا رأيت فكأنك قلت أعشرون أم ثلاثون أم كذا أم كذا، وقال (كم لبثتم في الأرض عدد سنين) وقال (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة).

٧. كيف، فللسؤال عن الحال إذا قيل: كيف زيد؟ فجوابه صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك.

٨. أين، فللسؤال عن المكان إذا قيل أين زيد فجوابه في الدار أو في المسجد أو في السوق ونحو ذلك.

٩. أنى، فتستعمل تارة بمعنى كيف قال الله تعالى (فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي كيف شئتم وأخرى بمعنى من أين قال الله تعالى (أنى لك هذا) أي من أين أين لك.

١٠. متى وأيان، فللسؤال عن الزمان إذا قيل متى جئت أو أيان جئت قيل يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا. وعن علي بن عيسى الربعي أن أيان تستعمل في مواضع التفخيم كقوله تعالى (يسأل أيان يوم القيامة) (يسألون أيان يوم الدين).

استعمال ألفاظ الاستفهام لغير معناه

ثم هذه الألفاظ كثيرا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام، منها:

١. الاستبطاء، نحو: كم دعوتك، وعليه قوله تعالى (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله).

٢. التعجب، نحو قوله (ما لي لا أرى الهدهد).

٣. التنبيه، على الضلال نحو: فأين تذهبون .

٤. الوعيد، كقولك لمن يسيء الأدب: ألم أؤدب فلانا إذا كان عالما بذلك، وعليه قوله تعالى (ألم نهلك الأولين).

٥. الأمر، نحو قوله تعالى (فهل أنتم مسلمون) ونحو (فهل من مدكر) .

٦. التقرير، ويشترط في الهمزة أن يليها المقرر به كقولك: أفعلت إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه. وكقولك أأنت فعلت إذا أردت تقرره بأنه الفاعل.

٧. الإنكار، وهو إما:

أ. للتوبيخ بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، نحو: أعصيت ربك أو بمعنى لا ينبغي أن يكون كقولك للرجل يضيع الحق: أتنسى قديم إحسان فلان؟. والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ما هم به.

ب. للتكذيب بمعنى لم يكن، كقوله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا) وقوله (اصطفى البنات على البنين) أو بمعنى لا يكون نحو (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون).

والإنكار كالتقرير يشترط أن يلي المنكر الهمزة كقوله تعالى (أغير الله تدعون) (أغير الله أتخذ وليا) (أبشرا منا واحدا نتبعه) وكقوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك) أي ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته.

٨. التهكم، نحو (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) .

٩. التحقير، كقولك: من هذا وما هذا؟.

١٠. التهويل، كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما (ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون) بلفظ الاستفهام لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه .

١١. الاستبعاد، نحو (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون).

١٢. التوبيخ والتعجب جميعا كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) أي كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة، أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبىء عن الانهماك في الغفلة أو الجهل. وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب.

وقوع الخبر موقع الإنشاء

ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء للآتي:

١. التفاؤل

٢. إظهار الحرص في وقوعه كما مر. والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين ألا للاحتراز عن صورة الأمر كقول العبد للمولى إذا حول عنه وجهه ينظر المولى إلى ساعة.

٣. حمل المخاطب على المطلوب بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذب الطالب، أو لنحو ذلك.

تنبيه

ما ذكرناه في الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مختص بالخبر بل كثير منه حكم الإنشاء فيه حكم الخبر يظهر ذلك بأدنى تأمل فليعتبره الناظر.

القول في الوصل والفصل

الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علما بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعا سليما ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحا. ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل. وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه، وأن أحدا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان فنقول والله المستعان:

إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منها إما:

١. أن يكون لها محل من الإعراب، وهو:

أ. إن قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الإعراب عطفت عليها، وهذا كعطف المفرد على المفرد لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد. وشروطه:

a) كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في المفرد

b) أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة كما في قوله تعالى (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) .

c) كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في الجملة، ذلك كقولك: زيد يكتب ويشعر أو يعطي ويمنع. وعليه قوله تعالى (والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون).

ب. إن لم يقصد ذلك ترك عطفها عليها، مثل:

a) قوله تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم) لم يعطف الله يستهزىء بهم على إنا معكم لأنه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين وليس منه.

b) قوله تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون) .

c) قوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)

٢. أن لا يكون لها محل من الإعراب، وهو:

أ. إن قصد بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطفت عليها بذلك الحرف، فتقول:

a) دخل زيد فخرج عمرو، إذا أردت أن تخبر أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة.

b) خرجت ثم خرج زيد، إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة.

c) يعطيك زيد دينارا أو يكسوك جبة، إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحد منهما لا بعينه، وعليه قوله تعالى (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) .

ب. إن لم يقصد ذلك، فكلآتي:

a) إن كان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية تعين الفصل، كقوله تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم) لم يعطف الله يستهزىء بهم على (قالوا) لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) فإن استهزاء الله تعالى بهم وهو إن خذلهم فخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجا إياهم من حيث لا يشعرون متصل لا ينقطع بكل حال خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم.

b) إن كان بين الجملتين كمال الانقطاع وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود يتعين الفصل، لأن الواو للجمع والجمع بين الشيئين يقتضي مناسبة بينهما كما مر.

c) إن كان بين الجملتين كمال الاتصال يتعين الفصل لأن العطف فيها بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع أن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

d) إن كان بين الجملتين كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى، يتعين الفصل.

e) إن كان بين الجملتين بمنزلة المتصلة بها يتعين الفصل.

بيان كمال الانقطاع

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى:

١. الإسناد، وهو:

أ. أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى، كقولهم: لا تدن من الأسد يأكلك، وهل تصلح لي كذا أدفع إليك الأجرة بالرفع فيهما.

ب. أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء معنى لا لفظا، كقولك: مات فلان رحمه الله.

٢. طرفيه، وهو أن لا يكون بين الجملتين جامع كما سيأتي.

بيان كمال الاتصال

وأما كمال الاتصال فيكون لأمور ثلاثة:

١. أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط، وهو قسمان:

أ. أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، مثل:

a) قوله تعالى (آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه) فإن وزان لا ريب فيه في الآونة وزان نفسه في قولك: جاءني الخليفة نفسه. فإنه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدإ ذلك، وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أنه مما يرمي به جزافا من غير تحقق، فأتبع لا ريب فيه نفيا لذلك إتباعَ الخليفة نفسه إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنك في قولك: جاءني الخليفة متجوز أو ساه.

b) قوله تعالى (كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) الثاني مقرر لما أفاده الأول

c) قوله تعالى (إنا معكم إنما نحن مستهزئون) لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية، وقوله: (إنما نحن مستهزئون) رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزىء بالشيء المستخف به منكر له ودافع له لكونه غير معتد به، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته. ويحتمل الاستئناف أي: فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد.

ب. أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى، مثل:

a) قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) فإن هدى للمتقين معناه أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة. وهذا معنى قوله ذلك الكتاب لأن معناه كما مر الكتاب الكامل. والمراد بكماله كماله في الهداية، لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في درجات الكمال.

b) قوله تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) فإن معنى قوله لا يؤمنون معنى ما قبله، وكذا ما بعده تأكيد ثان لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلا في حق من ليس له قلب يخلص إليه حق وسمع تدرك به حجة وبصر تثبت به عبرة. ويجوز أن يكون لا يؤمنون خبرا لإن، فالجملة قبلها اعتراض .

٢. أن تكون الثانية بدلا من الأولى، والمقتضى للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة ككونه مطلوبا في نفسه أو فظيعا أو عجيبا أو لطيفا. وهو ضربان:

أ. أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه، كقوله تعالى (أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فإنه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين وقوله أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون أوفى بتأديته مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير

إحالة على علمهم مع كونهم معاندين والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون ويحتمل الاستئناف.

ب. أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه، كقوله تعالى (اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل. وقوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أوفى بتأدية ذلك لأن معناه لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة.

٣. أن تكون الثانية بيانا للأولى، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته كقوله تعالى (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فصل جملة قال عما قبلها لكونها تفسيرا له وتبيينا.

القطع

وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى فلكون عطفها عليها موهما لعطفها على غيرها ويسمى الفصل لذلك قطعا مثال قول الشاعر:

(وتظن سلمى أنني أبغي بها ... بدلا أراها في الضلال تهيم)

لم يعطف أراها على تظن لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على أبغي لقربه منه مع أنه ليس بمراد ويحتمل الاستئناف.

القطع عند السكاكي

وقسم السكاكي القطع إلى قسمين:

١. القطع للاحتياط، وهو ما لم يكن لمانع من العطف كما في هذا البيت .

٢. القطع للوجوب، وهو ما كان لمانع ومثله بقوله تعالى (الله يستهزىء بهم) قال لأنه لو عطف لعطف إما على جملة قالوا، وإما على جملة إنا معكم، وكلاهما لا يصح لما مر وكذا قوله (ألا إنهم هم المفسدون) وقوله (ألا إنهم هم السفهاء) وفيه نظر.

تنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع عند السكاكي

وقال السكاكي فينزل ذلك منزلة الواقع ثم قال وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة إما:

١. لتنبيه السامع على موقعه.

٢. لإغنائه أن يسأل .

٣. لئلا يسمع منه شيء .

٤. لئلا ينقطع كلامك بكلامه .

٥. للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك. ويسمى الفصل لذلك استئنافا، وكذا الجملة الثانية أيضا تسمى استئنافا.

أنواع الاستئناف

والاستئناف ثلاثة أضرب لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما:

أ. عن سبب الحكم فيها مطلقا، كقوله:

(قال لي كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل)

أي: ما بالك عليلا أو ما سبب علتك.

ب. عن سبب خاص له، كقوله تعالى (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء فقيل إن النفس لأمارة بالسوء. وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم كما مر في باب أحوال الإسناد.

ت. عن غيرهما، كقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) كأنه قيل فماذا قال إبراهيم عليه السلام فقيل قال سلام.

أنواع الاستئناف

وأيضا من الاستئناف:

١. ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه، كقولك: أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان.

٢. ما يبني على صفته، كقولك: أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك. وهذا أبلغ لانطوائه على بيان السبب.

حذف صدر الاستئناف

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) فيمن قرأ يسبح مبنيا للمفعول. وعليه نحو قولهم: نعلم الرجل أو رجلا زيدا وبئس الرجل أو رجلا عمرو على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف أي هو زيد، كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهودا ذهنيا مظهرا أو مضمرا سئل عن تفسيره فقيل هو زيد، ثم حذف المبتدأ.

حذف الاستئناف كله

وقد يحذف الاستئناف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول الحماسي:

(زعمتم أن إخوتكم قريش ... لهم إلف وليس لكم إلاف)

حذف الجواب الذي هو كذبتم في زعمكم وأقام وقوله لهم إلف وليس الكم إلاف مقامه لدلالته عليه. ويجوز أن يقدر قوله لهم إلف وليس لكم إلاف جوابا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف، كأنه لما قال المتكلم كذبتم قالوا لم كذبنا فقال لهم إلف وليس لكم إلاف فيكون في البيت استئنافان.

وقد يحذف ولا يقام شيء مقامه كقوله تعالى (نعم العبد) أي أيوب أو هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه ونحوه قوله (فنعم الماهدون) أي نحن.

متى تعيّن الوصل؟

وإن لم يكن بين الجملتين شيء من الأحوال الأربع تعين الوصل، إما:

١. لدفع إبهام خلاف المقصود، كقول البلغاء: لا وأيدك الله. وهذا عكس الفصل للقطع .

٢. للتوسط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال، وهو ضربان:

أ. أن يتفقا خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى، مثل:

a) قوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) .

b) قوله (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) .

c) قوله (يخادعون الله وهو خادعهم) .

d) قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) .

ب. أن يتفقا كذلك معنى لا لفظا، كقوله تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذوي القربى واليتامى والمساكين وقولوا) عطف قوله (وقولوا) على قوله (لا تعبدون) لأنه بمعنى لا تعبدوا.

الجامع بين الشيئين

ثم قال الجامع بين الشيئين:

١. عقلي، فهو أن يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل، فإن العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد أو تضايف، كما بين العلة والمعلول والسبب والمسبب والسفل والعلو والأقل والأكثر، فإن العقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن.

٢. وهمي، فهو أن يكون بين تصوريهما:

أ. شبه تماثل، كلون بياض ولون صفرة، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله:

(ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر) .

ب. تضاد، كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة والخشونة وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء والإقرار والإنكار والإيمان والكفر وكالمتصفات بذلك كالأسود والأبيض والمؤمن والكافر .

ت. شبه تضاد، كالسماء والأرض والسهل والجبل.

والأول والثاني فإن الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجمع بينهما في الذهن، ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد.

٣. خيالي، وهو أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق وأسبابه مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبا ووضوحا فكم صور تتعانق في خيال وهي في آخر لا تتراءى وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم.

تنبيه

ولصاحب علم المعاني فضل احتياج إلى التنبه لأنواع الجامع لا سيما الخيالي، فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في ذلك كالجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في قوله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) بالنسبة إلى أهل الوبر فإن جل انتفاعهم في معاشهم من الإبل فتكون عنايتهم مصروفة إليها، وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب، وذلك بنزول المطر فيكثر تقلب وجوههم في السماء. ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون به، ولا شيء لهم في ذلك كالجبال. ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم في منزل عن التنقل من أرض إلى سواها. فإذا فتش البدوي في خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور بخلاف الحضري. فإذا تلا قبل الوقوف ما ذكرنا ظن النسق لجهله معيبا.

محسنات الوصل

ومن محسنات الوصل تتناسب الجملتين في الاسمية والفعلية وفي المضي والمضارعة إلا لمانع، كما إذا أريد بإحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو، وقلت قام زيد وعمرو قاعد كما سبق.

وقوع الجملة حالا منتقلة

ومما يتصل بهذا الباب القول في الجملة إذا وقعت حالا منتقلة فإنها تجيء تارة بالواو وتارة بغير الواو، فنقول: أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه:

١. أن إعرابها ليس بتبع، وما ليس إعرابه بتبع لا يدخله الواو. وهذه الواو وإن كانت تسمى واو الحال فإن أصلها العطف.

٢. أن الحال في المعنى حكم على ذي الحال كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالأصالة لا في ضمن شيء آخر، والحكم بها إنما يحصل في ضمن غيرها. فإن الركوب مثلا في قولنا: جاء زيد راكبا محكوم به على زيد لكن لا بالأصالة بل بالتبعية، بأن وصل بالمجيء وجعل قيدا له بخلافه في قولنا زيد راكب.

٣. أنها في الحقيقة وصف لذي الحال فلا يدخلها الواو كالنعت، فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو، لكن خولف الأصل فيها إذا كانت جملة لأنها بالنظر إليها من حيث هي جملة مستقلة بالإفادة

فتحتاج إلى ما يربطها بما جعلت حالا عنه. وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط، والأصل الضمير بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت.

الجملة التي تقع حالا

وإذا تمهد هذا فنقول الجملة التي تقع حالا ضربان:

١. خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه، فيجب أن تكون بالواو لئلا تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به. وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالا عنه إذا كانت مع الواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت، كقولك جاء زيد ويتكلم عمرو، على أن يكون (ويتكلم عمرو) حالا عن زيد. لما سيأتي أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده.

٢. غير خالية عنه، فتارة:

أ. يجب أن تكون بالواو، فكقوله تعالى (أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر) وقوله تعالى (أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا).

ب. يمتنع ذلك، فكقوله تعالى (وما لنا لا نؤمن بالله) فكقوله تعالى (أو جاءوكم حصرت صدورهم) وكقوله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وقوله (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا).

ت. يترجح أحدهما

ث. يستوي الأمران.

والواو غير مناف للضمير في إفادة الربط فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف فنقول:

✓ الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو، كقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقوله (ولا تمنن تستكثر) وقوله (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) لأن أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جعلت قيدا له. والمضارع المثبت كذلك. أما دلالته على حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت، والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما مر. وأما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعا فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة، ولهذا امتنع نحو: جاء زيد ويتكلم عمرو كما مر. وأما ما جاء من نحو قول بعض العرب قمت وأصك عينه أو وجهه.

جواز الأمرين في ثبوت الواو وعدمه

والسبب في أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتا دلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا، وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيا. ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة حتى تقربه إلى الحال فيصبح وقوعه حالا. وظاهر هذا يقتضي وجوب الواو في المنفي لانتفاء المعنيين لكنه لم يجب فيه بل كان

مثله. أما المنفي بلما فلأنها للاستغراق. وأما المنفي بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد.

وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب، بخلاف استمرار الوجود كما بين في غير هذا العلم. وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجوز فيها الأمران ومجيء الواو أولى. أما الأول فالعكس ما ذكرناه في المصدرة بالماضي المثبت فمجيء الواو كقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) . وأما الثاني فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط.

القول في الإيجاز والإطناب والمساواة

قال السكاكي أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم. ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم. فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط. والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل.

ثم قال الاختصار لكونه من الأمور النسبية يرجع في بيان دعواه إلى ما سبق تارة وإلى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر أخرى. وفيه نظر، لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضي أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذي يكون المقصود جديرا به رد إلى جهالة فكيف يصلح للتعريف .

والأقرب أن يقال المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة. والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره كما سيأتي، ولا زائدا عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض كما سيأتي. وقولنا: واف، احتراز عن الإخلال وهو أن يكون اللفظ قاصرا عن أداء المعنى. وقولنا: لفائدة، احتراز من شيئين:

١. التطويل، وهو أن لا يتعين الزائد في الكلام، كقوله:

(وألفى قولها كذبا ومينا ...)

فإن الكذب والمين واحد .

٢. الحشو، وهو ما يتعين أنه الزائد، وهو ضربان:

أ. ما يفسد المعنى، كقول أبي الطيب : (ولا فضل فيها للشجاعة والندى ... وصبر الفتى لولا لقاء شعوب) فإن لفظ الندى فيه حشو يفسد المعنى لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت. وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى، لأن

الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل بخلاف الباذل ماله فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله.

ب. ما لا يفسد المعنى، كقوله :

(ذكرت أخي فعاودني ... صداع الرأس والوصب)

فإن لفظ الرأس فيه حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس وليس بمفسد للمعنى .

القسم الأول: المساواة

كقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) وقوله (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقول النابغة الذبياني:

(فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت المتأى عنك واسع)

القسم الثاني: الإيجاز

وهو ضربان:

١. إيجاز القصر، وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه، لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا له قويا إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان في ارتفاع القتل حياة لهم. وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم: القتل أنفى للقتل من وجوه:

أ. أن عدة حروف ما يناظره منه وهو في القصاص حياة عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر.

ب. ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

ت. ما يفيد تنكير حياة من التعظيم أو النوعية كما سبق .

ث. اطراده بخلاف قولهم فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره.

ج. سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم.

ح. استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن تقديره القتل أنفى للقتل من تركه وسابعها أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق كما سيأتي.

خ. جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال في عليه على ما تقدم.

٢. إيجاز الحذف، وهو ما يكون بحذف. والمحذوف إما:

أ. جزء جملة، وهو إما:

a) مضاف، كقوله تعالى (واسأل القرية) أي أهلها وكقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) أي تناولها لأن الحكم الشرعي إنما يتعلق بالإفعال دون الإجرام وقوله (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) أي تناول طيبات أحل لهم تناولها وتقدير التناول أولى من تقدير الأكل ليدخل فيه شرب ألبان الإبل فإنها من جملة ما حرمت عليهم وقوله (وأنعام حرمت ظهورها) أي منافع ظهورها وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب لأنهم حرموا ركوبها وتحميلها وكقوله تعالى (لمن كان يرجو الله) أي رحمة الله وقوله (يخافون ربهم) أي عذاب ربهم وقد ظهر هذا المضافان في قوله (يرجون رحمته ويخافون عذابه).

b) موصوف، كقوله (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ...) أي أنا ابن رجل جلا .

c) صفة، نحو (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صحيحة أو صالحة أو نحو ذلك بدليل ما قبله.

d) شرط، كما سبق .

e) جواب شرط، وهو ضربان:

a. أن يحذف لمجرد الاختصار، كقوله تعالى (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون) أي أعرضوا بدليل قوله بعده (إلا كانوا عنها معرضين) وكقوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) أي لكان هذا القرآن وكقوله تعالى (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) أي ألستم ظالمين بدليل قوله بعده (إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

b. أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروها إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه، ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده، كقوله (وسيق الذي اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وكقوله (ولو ترى إذ وقفوا على النار) (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)

ب. جملة، وهي إما:

a) مسبب ذكر سببه، مثل:

a. قوله تعالى (ليحق الحق ويبطل الباطل) أي فعل ما فعل.

b. قوله (وما كنت بجانب الطور إذ ناديا ولكن رحمة من ربك) أي اخترناك.

c. قوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي كان الكف ومنع التعذيب .

d. قوله (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) أي فضربه بها فانفجرت، ويجوز أن يقدر فإن ضربت بها فقد انفجرت.

b) غير ذلك، كقوله تعالى (فنعم الماهدون) على ما مر.

ت. أكثر من جملة، مثل:

a) قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى) أي فضربوه ببعضها فحيي فقلنا كذلك يحيى الله الموتى.

b) قوله (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف) أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف.

c) قوله (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا) أي فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم.

d) قوله (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل قال ألم نربك) أي فأتياه فأبلغاه ذلك فلما سمعه قال ألم نربك ويجوز أن يكون التقدير فأتياه فأبلغاه ذلك ثم يقدر فماذا قال فيقع قوله (قال ألم نربك) استئنافا.

أنواع الحذف

واعلم أن الحذف على وجهين:

١. أن لا يقام شيء مقام المحذوف كما سبق.

٢. أن يقام مقامه ما يدل عليه، مثل:

أ. قوله تعالى (فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم والتقدير: فإن تولوا فلا لوم علي لأني قد أبلغتكم أو فلا عذر لكم عند ربكم لأني قد أبلغتكم.

ب. قوله (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أي فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك.

ت. قوله (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) أي فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين

أدلة الحذف

وأدلة الحذف كثيرة، منها:

١. أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف، كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية وقوله (حرمت عليكم أمهاتكم) الآية فإن العقل يدل على

الحذف لما مر والمقصود الأظهر يرشد إلى أن التقدير حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن.

٢. أن يدل العقل على الحذف والتعيين، كقوله (وجاء ربك) أي أمر ربك أو عذابه أو بأسه وقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي عذاب الله أو أمره.

٣. أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز (فذلكن الذي لمتنني فيه) دل العقل على الحذف فيه لأن الإنسان إنما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير في حبه لقوله (قد شغفها حبا) وأن يكون في مراودته لقوله (تراود فتاها عن نفسه) وأن يكون في شأنه وأمره فيشملهما والعادة دلت على تعيين المراودة لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبته إياه، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها عن نفسه.

٤. أن تدل العادة على الحذف والتعيين، كقوله تعالى (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها فلا بد من حذف قدره مجاهد رحمه الله مكان قتال أي أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ويدل عليه أنهم أشاروا على رسول الله لا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها.

٥. الشروع في الفعل كقول المؤمن (بسم الله الرحمن الرحيم) كما إذا قلت عند الشروع في القراءة بسم الله فإنه يفيد أن المراد بسم الله أقرأ، وكذا عند الشروع في القيام والقعود أو أي فعل كان فإن المحذوف يقدر ما جعلت التسمية مبدأ له.

٦. اقتران الكلام بالفعل فإنه يفيد تقديره، كقولك لمن أعرس: بالرفاء والبنين فإنه يفيد بالرفاء والبنين أعرست.

القسم الثالث الإطناب

وهو إما بلآتي:

١. الإيضاح بعد الإيهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك. فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم، أو لتكمل اللذة بالعلم به. فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم. وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم. ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم. ومن الإيضاح بعد الإبهام باب نعم وبئس على أحد القولين إذ لو لم يقصد الإطناب لقيل نعم زيد وبئس عمرو.

٢. تفخيم الأمر وتعظيمه، كقوله تعالى (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) فإن قوله اشرح لي يفيد طلب شرح لشيء ما له، وقوله: صدري يفيد تفسيره وبيانه. وكذلك قوله (ويسر لي أمري) والمقام مقتض للتأكيد للإرسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد. ووجه حسنه سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران آخران أحدهما إبراز الكلام في مرض الاعتدال نظرا إلى إطنابه من وجه وإلى اختصاره من آخر وهو حذف المبتدأ في الجواب والثاني إيهام الجمع بين المتنافيين.

٣. التوسيع، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمعنى مفسر بأسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء في الخبر: يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل.

٤. ذكر الخاص بعد العام، للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، مثل:

أ. قوله تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) .

ب. قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

ت. قوله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى).

٥. التكرير، لنكتة كتأكيد الإنذار في قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) وفي ثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد. وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول في قوله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع). وقد يكرر اللفظ للآتي:

أ. طول في الكلام، كما في قوله تعالى (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) وفي قوله تعالى (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم).

ب. تعدد المتعلق، كما كرره الله تعالى من قوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول. وقوله (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) قلنا العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات من آلائه تعالى. ونحوه قوله (ويل يومئذ للمكذبين) لأنه تعالى ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة.

٦. الإيغال، واختلف في معناه فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قول الخنساء: (وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار) لم ترض أن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا.

٧. التذليل، وهو تعقيب الجملة بحملة تشتمل على معناها للتوكيد، وهو ضربان:

أ. ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله، كقوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) إن قلنا إن المعنى وهل يجازى ذلك الجزاء.

ب. ضرب يخرج مخرج المثل، كقوله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).

وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت) فإن قوله أفئن مت فهم الخالدون من الأول وما بعده من الثاني، وكل منهما تذييل على ما قبله.

فوائد التذييل

وهو أيضا إما للآتي:

a) تأكيد منطوق كلام، كقوله تعالى (وقل جاء الحق) الآية.

b) تأكيد مفهومه كبيت النابغة فإن صدره دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه.

٨. التكميل، ويسمى الاحتراس أيضا، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو ضربان:

أ. ضرب يتوسط الكلام، كقول طرفة:

(فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمى).

ب. ضرب يقع في آخر الكلام، كقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم. فلما قيل أعزة على الكافرين علم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدى الذل بعلى لتضمينه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع. ويجوز أن تكون التعدية بعلى لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم.

٩. التتميم، وهو أن يؤتى في كلام لا وهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة في قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) أي مع حبه، والضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه. ونحوه (وآتى المال على حبه) وكذا (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون).

١٠. الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل، مثل:

أ. التنزيه والتعظيم في قوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون).

ب. الدعاء في قول أبي الطيب: (وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ... يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا) فإن قوله وحاشاك دعاء حسن في موضعه. ا

ت. التنبيه في قول الشاعر:

(واعلم فعلم المرء ينفعه ... أن سوف يأتي كل ما قدرا) .

ث. تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر علق بهما كقوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك).

ج. المطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب:

(وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... يا جنتي لرأيت فيه جهنما).

ح. التنبيه على سبب أمر فيه غرابة كما في قول الآخر:

(فلا هجره يبدو وفي اليأس راحة ... ولا وصله يبدو لنا فنكارمه)

فإن قوله: فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب فقال وفي اليأس راحة لينبه على سببه. وقوله تعالى (لو تعلمون) في قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم) اعتراض في اعتراض لأنه اعترض به بين الموصوف والصفة واعترض بقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم بين القسم والمقسم عليه ومما جاء بين كلامين متصلين معنى قوله (فأتوهن).

وجه حسن الاعتراض

وقد علم مما ذكرنا أن الاعتراض كما يأتي بغير واو ولا فاء قد يأتي بأحدهما. ووجه حسن الاعتراض على الإطلاق حسن الإفادة مع أن مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الإفادة فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها. ومن الناس من لا يقيد فائدة الاعتراض بما ذكرناه بل يجوز أن تكون دفع توهم ما يخالف المقصود، وهؤلاء فرقتان:

a) فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعا في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى، بل يجوز أن يقع في آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى. وبهذا يشعر كلام الزمخشري في مواضع من الكشاف، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة.

b) فرقة تشترط فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا في أحد الموقعين، ومن التكميل ما كان واقعا في أحدهما ولا محل له من الإعراب جملة كان أو أقل من جملة أو أكثر.

١١. غير ذلك، كقولهم رأيته بعيني ومنه قوله تعالى (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي هذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير

ترجمة عن علم في القلب كما هو شأن المعلوم إذ ترجم عن اللسان. وكذا قوله (تلك عشرة كاملة) لإزالة توهم الإباحة.

تنبيه

واعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى كالشطر الأول من قول أبي تمام:

(يصد عن الدنيا إذا عن سودد ... ولو برزت في زي عذراء ناهد)

وقول الأخر

(ولست بنظار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر)

ويقرب من هذا الباب قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وقول الحماسي

(وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول)

وكذا ما ورد في الحديث: الحزم سوء الظن، وقول العرب: الثقة بكل أحد عجز. والله تعالى أعلى وأعلم.

الفن الثاني
في علم البيان

وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

ودلالة اللفظ إما:

١. على ما وضع له، وتسمى دلالة وضعية، وتختص بدلالة المطابقة.

٢. على غيره، وهو إما:

أ. داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان. وتسمى دلالة العقلية، وتختص بدلالة التضمن.

ب. خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف أو الضاحك عن مفهوم الإنسان. وتسمى دلالة العقلية، وتختص بدلالة الالتزام. وشرط الثالثة اللزوم الذهني أعني أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعاني الخارجة. ولا يشترط في هذا اللزوم أن يكون مما يثبته العقل، بل يكفي أن يكون مما يثبته اعتقاد المخاطب. إما لعرف أو لغيره لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي الخارجي.

وجه انحصار أبواب علم البيان

ثم إيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية، لأن السامع إن كان عالما بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض، وإلا لم يكن كل واحد منها دالا. وإنما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض.

ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له، وهو إما:

١. مجاز، وهو إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له. ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تبتنى على التشبيه فيتعين التعرض له.

٢. كناية، وهو إن لم تقم قرينة على عدم إرادة ما وضع له.

فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية. وقُدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه. وقُدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل.

القول في التشبيه

التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى. والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد، فدخل فيه ما يسمى تشبيها بلا خلاف، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، كقولنا: زيد كالأسد أو كالأسد بحذف زيد لقيام قرينة، وما يسمى تشبيها على المختار كما سيأتي

وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه أو في حكم الخبر، كقولنا: زيد أسد، وكقوله تعالى (صم بكم عمي) أي هم ونحوه قول من يخاطب الحجاج:

(أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتحاء تنفر من صفير الصافر)

وكقولنا رأيت زيدا بحرا.

وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح، فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة وأن تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك.

فضائل التشبيه

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة، نحو أن يعطيك من الزند بإبرائه شبه الجواد والذكي والنجح في الأمور، وبإصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي، ومن القمر الكمال عن النقصان.

أركان التشبيه

ثم النظر في أركان التشبيه وهي أربعة:

١. طرفاه (المشبه والمشبه به)، فهما إما:

أ. حسيان، كما في تشبيه الخد بالورد، والقد بالرمح، والفيل بالجبل في المبصرات، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات، والنكهة بالعنبر في المشمومات، والريق بالخمر في المذوقات، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات.

ب. عقليان، كما في تشبيه العلم بالحياة.

ت. مختلفان،

والمعقول هو المشبه كما في تشبيه المنية بالسبع، أو بالعكس كما في تشبيه العطر بخلق كريم. والمراد بالحسي المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة فدخل فيه الخيالي. والمراد بالعقلي ما عدا ذلك، فدخل فيه:

a) الوهمي، وهو ما ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها، مثل قوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) .

b) ما يدرك بالوجدان، كاللذة والألم والشبع والجوع.

٢. وجه الشبه، فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان، إما:

أ. تحقيقا

ب. تخييلا، والمراد به أن لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل، كما في قول القاضي التنوخي:

(وكأن النجوم بين دجاها ... سنن لاح بينهن ابتداع)

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود فهي غير موجود في المشبه به إلا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة فلا يهتدي إلى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره فلا يأمن أن يتردى في مهواة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة شبهت بالظلمة. ولزم على عكس ذلك أن تشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور. وعليهما قوله تعالى (يخرجهم من الظلمات إلى النور).

٣. أداته، وأما أداته فالآتي:

أ. الكاف، في نحو قولك: زيد كالأسد،

ب. كأن، في نحو قولك: زيد كأنه أسد.

ت. مثل، في نحو قولك: زيد مثل الأسد.

ث. ما في معنى مثل كلفظه كشبه ونحوهما.

فائدة

والأصل في الكاف ونحوها أن يليها المشبَّه به، وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به، وذلك إذا كان المشبه به مركبا، كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره، بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن. وقد يذكر فعل ينبىء عن التشبيه كعلمت في كقولك: علمت زيدا أسدا ونحوه. هذا إذا قرب التشبيه، فإن بعد أدنى تبعيد قيل: خلته وحسبته ونحوهما.

٤. أغراضه، وأما الغرض من التشبيه فيعود إلى:

أ. المشبه في الأغلب، فهو يرجع إلى وجوه مختلفة، منها:

a) بيان أن وجود المشبه ممكن، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعي امتناعه كما في قول أبي الطيب:

(فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال)

أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل معه أن يكون واحدا منهم بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الإنسان.

b) بيان حاله، كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد إذا علم لون المشبه به دون المشبه.

c) بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان، كما في قوله:

(فأصبحت من ليلى الغداة كقابض ... على الماء خانته فروج الأصابع)

أي بلغت في بوار سعيي في الوصول إليها وأن أمتع بها أقصى الغايات حتى لم أحظ منها بما قل ولا بما كثر.

d) تقرير حاله في نفس السامع، كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء. وعليه قوله عز و جل (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) فإنه بين ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة.

وهذه الوجوه تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو به أشهر.

e) تزيينه للترغيب فيه، كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي.

f) تشويهه للتنفير عنه، كما في تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نفرتها الديكة.

g) استطرافه، كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه في صورة الممتنع عادة. وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به قادر الحضور إما:

a. مطلقا كما مر

b. عند حضور المشبه كما في قوله:

(ولازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت)

(كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت)

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب. وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج، فإذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى نارهما.

ب. المشبه به، فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه، وذلك في التشبيه المقلوب وهو أن يكون الأمر بالعكس، مثل:

a) قوله تعالى حكاية عن مستحلي الربا (إنما البيع مثل الربا) فإن مقتضى الظاهر أن يقال إنما الربا مثل البيع إذ الكلام في الربا لا في البيع فخالفوا لجعلهم الربا في الحل أقوى حالا من البيع وأعرف به.

b) قوله عز و جل (أفمن يخلق كمن لا يخلق) فإن مقتضى الظاهر العكس لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتها وغلوا حتى صارت عندهم أصلا في العبادة والخالق سبحانه فرعا، فجاء الإنكار على وفق ذلك.

مسألة في وجه الشبه

وإذا علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان علم فساد جعله في قول القائل النحو في الكلام كالملح في الطعام كون القليل مصلحا والكثير مفسدا، لأن القلة والكثرة إنما يتصور جريانهما في الملح. وذلك بأن يجعل منه في الطعام القدر المصلح أو أكثر منه دون النحو فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا فإن وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه، وصار منتفعا به في فهم المراد منه. وإلا لم يحصل وكان فاسدا لا ينتفع به. فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحا والإهمال مفسدا لاشتراكهما في ذلك.

تقسيم وجه الشبه

وهو إما:

١. غير خارج عن حقيقة الطرفين ، وهو إما:

أ. تمام حقيقتهما، كما في تشبيه إنسان بإنسان في كونه إنسانا، أو جزؤهما كما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالإنسان في كونه حيوانا.

ب. صفة، إما:

a) حقيقية ، وهي إما:

a. حسية، وهي الكيفيات الجسيمة مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتي بين بين أو بالذوق من أنواع الطعوم، أو بالشم من أنواع الروائح، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما ينضاف إليها.

b. عقلية، كالكيفيات النفسية من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الغرائز والأخلاق.

b) الإضافية، كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس.

٢. خارج عن حقيقة الطرفين.

تقسيم آخر باعتبار آخر

ووجه الشبه إما:

١. واحد، إما:

أ. حسي،

ب. عقلي،

٢. غير الواحد، إما:

أ. بمنزلة الواحد لكونه مركبا من أمرين أو أمور. والمركب إما:

a) حسي

b) عقلي

ب. متعدد غير مركب، إما:

a) حسي، والحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء.

b) عقلي، والعقلي طرفاه إما عقليان، أو حسيان، أو مختلفان لجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء، ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي.

c) مختلف،

ويمكن أن يقال المراد بكونه حسيا أن تكون أفراده مدركة بالحس، كالسواد فإن أفراده مدركة بالبصر وإن كان هو نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس الواحد الحسي كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس في تشبيه الخد بالورد، والصوت الضعيف بالهمس، والنكهة بالعنبر، والريق بالخمر، والجلد الناعم بالحرير كما سبق.

فائدة

والواحد العقلي كالعراء عن الفائدة في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمه، وجهة الإدراك في تشبيه العلم بالحياة فيما طرفاه معقولان، والجراءة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد، ومطلق الاهتداء في تشبيه أصحاب النبي عنهم بالنجوم فيما طرفاه محسوسان، والهداية في تشبيه العلم بالنور، وتحصيل ما بين الزيادة والنقصان في تشبيه العدل بالقسطاس فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس، واستطابة النفس في تشبيه العطر بخلق كريم وعدم الخفاء في تشبيه النجوم بالسنن فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول. قال الشيخ صاحب المفتاح وفي أكثر هذه الأمثلة في معنى وحدتها تسامح.

طرفا المركب الحسي

والمركب الحسي طرفاه إما:

١. مفردان، كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص في قول ذي الرمة:

(وسقط كعين الديك عاورت صاحبي ... أباها وهيأنا لموقعها وكرا)

وكالهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص في قول أحيحة بن الجلاح أو قيس بن الأسلت:

(وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى ... كعنقود ملاحية حين نورا)

٢. مركبان، كالهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جواب شيء مظلم في قول بشار:

(كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه)

وكالهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير في المرأى على سطح جسم أزرق صافي الزرقة في قول أبي طالب الرقي:

(وكأن أجرام النجوم لوامعا ... درر نثرن على بساط أزرق)

٣. مختلفان، كما في تشبيه الشاة الجبلي بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا وكما مر في تشبيه الشقيق والنيلوفر

بديع المركب الحسي

ومن بديع هذا النوع أعني المركب الحسي ما يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة ويكون على وجهين:

١. أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون، كما في قوله:

(والشمس كالمرآة في كف الأشل ...)

ومن الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط فإن الشمس إذا أحد الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة وكذا المرآة إذا كانت في يد الأشل .

٢. أن تجرد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم، فهناك أيضا لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين، وبعضه إلى الشمال، وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل. فحركة الرحا والدولاب والسهم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة وحركة المصحف.

المركب العقلي

والمركب العقلي كالمنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذي هو على عكس ما قدر في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه) شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة في أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة، وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق.

فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض وذلك أنه روعي من الكافر فعل مخصوص وهو حسبان الأعمال نافعة له، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهي صورة الأعمال الصالحة

التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسله عليهم السلام، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئا وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم.

وكذا في جانب المشبه به وكحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه كما في قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) فإنه أيضا منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض وذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم وأن الحمار جاهل بما فيها وكذا في جانب المشبه.

واعلم أن الطريق في اكتساب وجه الشبه أن يميز عما عداه، فإذا أردت أن تشبه جسما بجسم في هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق فإنه لم ينظر إلى شيء من أوصافه سوى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض.

تقسيم آخر للتشبيه

وأما تقسيم التشبيه فباعتبار طرفيه أربعة أقسام:

١. تشبيه المفرد بالمفرد، وهو ما طرفاه مفردان، إما:

أ. غير مقيدين، كتشبيه الخد بالورد ونحوه، وعليه قوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن). فإن قلت ما وجه الشبه في الآية قلت جعله الزمخشري حسيا، فإنه قال لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه.

ب. مقيدان، كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شيء هو كالقابض على الماء، وكالراقم في الماء. فإن المشبه هو الساعي لا مطلقا بل مقيدا بكون سعيه كذلك. والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكونه قبضه على الماء أو رقمه فيه، لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة. فالقيد في هاتين الصورتين هو الجار والمجرور.

ت. مختلفان، والمقيد هو المشبه به، كقوله:

(والشمس كالمرآة في كف الأشل ...)

فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق، والمشبه به هو المرآة، لا على الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل، أو على عكس ذلك كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس.

٢. تشبيه المركب بالمركب، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان كما في قول البحتري:

(ترى أحجاله يصعدن فيه ... صعود البرق في الغنم الجهام)

لا يريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين بالآخر. وهذا القسم ضربان:

أ. ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر، كقوله:

(غدا والصبح تحت الليل باد ... كطرف أشهب ملقى الجلال)

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شيئا.

ب.ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر غير أن الحال تتغير، ومثاله قوله:

(وكأن أجرام النجوم لوامعا ... درر نثرن على بساط أزرق)

فإنه لو قيل كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق كان تشبيها صحيحا لكن أين يقع من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلوب سرورا وعجبا من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية.

٣. تشبيه المفرد بالمركب، كما مر من تشبيه الشاة الجبلى والشقيق والنيلوفر.

٤. تشبيه المركب بالمفرد، كقول أبي تمام:

(يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور)

(تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر)

يعني أن النبات من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر.

تشبيه تعدد طرفاه

وأيضا إن تعدد طرفاه فهو إما:

١. ملفوف، وهو ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما، كقول امرىء القيس:

(كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي) .

٢. مفروق، وهو بخلاف ذلك، كقول المرقش الأكبر:

(النشر مسك والوجوه دنانير ... وأطراف الأكف عنم)

تشبيه تعدد طرفاه

وهو إما:

١. تشبيه التسوية، وهو إن تعدد طرفه الأول أعني المشبه دون الثاني، كقول الآخر:

(صدغ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليالي)

(وثغره في صفاء ... وأدمعي كاللآلي)

٢. تشبيه الجمع، وهو إن تعدد طرفه الثاني أعني المشبه به دون الأصل، كقول البحتري:

(كأنما يبسم عن لؤلؤ ... منضد أو برد أو أقاح)

تقسيم التشبيه باعتبار وجهه

وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات:

١. تمثيل وغير تمثيل، وتفصيله:

أ. التمثيل، وهو ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور، مثل قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر حقيقي منتزع من متعدد وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب.

ب. غير التمثيل، وهو ما كان بخلاف ذلك كما سبق في الأمثلة المذكورة.

٢. مجمل ومفصل، وتفصليه:

أ. المجمل، وهو ما لم يذكر وجهه، فمنه:

a) ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة، كقولنا: زيد أسد، إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها.

b) ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة، كقول من وصف بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم وأن أيهم أنجد كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها أي لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه.

c) ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به، كالمثال الأول.

d) ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده، مثل قول زياد الأعجم:

(وإنا وما تلقي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق).

e) ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما، كقول أبي تمام:

(صدفت عنه ولم تصدف مواهبه ... عني وعاوده ظني فلم يخب)

(كالغيث إن جئته وافاك ريقه ... وإن ترحلت عنه لج في الطلب).

ب. المفصل، وهو ما ذكر وجه الشبه، كقول ابن الرومي:

(يا شبيه البدر في الحسن ... وفي بعد المنال)

(جد فقد تنفجر الصخرة ... بالماء الزلال)

٣. قريب وبعيد، وتفصيله:

أ. القريب المبتذل، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه في بادىء الرأي. وسبب ظهوره أمران:

a) كونه الشبه أمرا جمليا، فإن الجملة أسبق أبدا إلى النفس من التفصيل ألا ترى أن الرؤية لا تصل في أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل.

b) كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن، إما:

a. عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإجاصة في الشكل وفي المقدار، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك.

b. مطلقا لتكرره على الحس، كما مر تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة في الاستدارة والاستنارة. فإن قرب المناسبة والتكرر كل واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال.

ب. البعيد الغريب، وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه في بادىء الرأي، وسبب خفائه أمران:

a) كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، فإن ما ذكرناه من الهيئة لا يقوم في نفس الرائي للمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملا ويكون في نظره متمهلا.

b) ندور حضور المشبه به في الذهن، إما:

a. عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت.

b. مطلقا لكونه وهميا أو مركبا خياليا أو مركبا عقليا كتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا، فإن كلا سبب لندرة حضور المشبه به في الذهن أو لقلة تكرره على الحس كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل. فإنه ربما يقضي الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة في يد الأشل فالغرابة في هذا التشبيه من وجهين. والمراد بالتفصيل أن ينظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر وذلك يقع على وجوه كثيرة.

فائدة

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ كقوله تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) فإنها عشر جمل إذا فصلت وهي وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من

أن تشير إليها واحدة واحدة. ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالمغزى من التشبيه.

وقوع الجملة في جانب المشبه به

ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت في جانب المشبه به تكون على وجوه، منها:

١. أن تلي نكرة، فتكون صفة لها كما في هذه الآية، وعليه قول النبي (الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة).
٢. أن تلي معرفة هي اسم موصول فتكون صلة له، كقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) الآية.
٣. أن تلي معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافا، كقوله عز وعلا (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل.

فائدة

وقد يتصرف في القريب المبتذل بما يخرجه من الابتذال إلى الغرابة وهو على وجوه، منها:

أن يكون كقوله

(لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياء) وقوله

(فردت علينا الشمس والليل راغم ... بشمس لهم من جانب الخدر تطلع)

(فوالله ما أدري أأحلام نائم ... ألمت بنا أم كان في الركب يوشع)

فإن تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل لكن كل واحد من حديث الحياء في الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني أخرجه من الابتذال إلى الغرابة وشبيه بالأول قول الآخر:

(إن السحاب لتستحي إذا نظرت ... إلى نداك فقاسته بما فيها)

ومنها أن يكون كقوله:

(عزماته مثل النجوم ثواقبا ... لو لم يكن للثاقبات أفول) وقوله

(مها الوحش إلا أن هاتا أوانس ... قنا الخط إلا أن تلك دوابل) وقوله

(يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا)

(والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت ... والأسد لو لم تصد والبحر لو عذبا)

وهذا يسمى التشبيه المشروط.

ومنها أن يكون كقوله:

(في طلعة البدر شيء من محاسنها ... وللقضيب نصيب من تثنيها) وقول ابن بابك

(ألا يا رياض الحزن من أبرق الحمى ... نسيمك مسروق ووصفك منتحل)

(حكيت أبا سعد فنشرك نشره ... ولكن له صدق الهوى ولك الملل)

التشبيه باعتبار أداته

وأما باعتبار أداته فإما:

١. مؤكد، وهو ما حذفت أداته، كقوله تعالى (وهي تمر مر السحاب) وقوله (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا).

٢. المرسل، وهو ما ذكرت أداته، كقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وقوله عز و جل (عرضها كعرض السماء والأرض).

التشبيه باعتبار الغرض

وأما باعتبار الغرض فإما:

١. المقبول، وهو الوافي بإفادة الغرض كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار، ثم الطرفان في الثاني إن تساويا في وجه الشبه فالتشبيه كامل في القبول، وإلا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال، أو كأن يكون المشبه به أتم شيء في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل أن كأن يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه عند المخاطب في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود.

٢. المردود، وهو القاصر عن إفادة الغرض.

خاتمة

قد سبق في أركان التشبيه أربعة المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجهه فالحاصل من مراتب التشبيه في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ثمان:

١. ذكر الأربعة، كقولك: زيد كالأسد في الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة.

٢. ترك المشبه، كقولك: كالأسد في الشجاعة أي زيد وهي كالأولى في عدم القوة.

٣. ترك كلمة التشبيه، كقولك: زيد أسد في الشجاعة، وفيها نوع قوة.

٤. ترك المشبه وكلمة التشبيه، كقولك: أسد في الشجاعة أي زيد وهي كالثالثة في القوة.

٥. ترك وجه الشبه، كقولك: زيد كالأسد وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر.

٦. ترك المشبه ووجه التشبيه، كقولك: كالأسد أي زيد وهي كالخامسة.

٧. ترك كلمة التشبيه ووجه، كقولك: زيد أسد وهي أقوى الجميع.

٨. إفراد المشبه به بالذكر، كقولك: أسد أي زيد وهي كالسابعة.

واعلم أن الشبه قد ينتزع من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه ثم ينزل منزلة التناسب بوساطة تمليح أو تهكم فيقال للجبان: ما أشبهه بالأسد، وللبخيل: هو حاتم.

القول في الحقيقة والمجاز

تعريف الحقيقة والمجاز

الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب. فقولنا (المستعملة) احتراز عما لم يستعمل فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة. وقولنا (فيما وضعت له) احتراز عن شيئين: أحدهما ما استعمل في غير ما وضعت له غلطا كما إذا أردت أن تقول لصاحبك خذ هذا الكتاب مشيرا إلى كتاب بين يديك فغلطت فقلت خذ هذا الفرس. والثاني أحد قسمي المجاز وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعا له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كلفظة الأسد في الرجل الشجاع. وقولنا (في اصطلاح به التخاطب) احتراز عن القسم الآخر من المجاز.

والمجاز هو ما استعمل فيما وضع له لا في اصطلاح به التخاطب كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب يعرف الشرع في الدعاء مجازا، والوضع من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه. فقولنا (بنفسه) احتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة أعني المجاز فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعا ودخل المشترك في الحد لأن عدم دلالته على أحد معنييه بلا قرينة لعارض أعني الاشتراك لا ينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه. وذهب السكاكي إلى أن المشترك كالقرء معناه الحقيقي وهو ما لا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غير مجموع بينهما.

أنواع المجاز

والمجاز إما:

١. مفرد، فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في الاصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته. فقولنا (المستعملة) احتراز عما لا يستعمل لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازا كما لا تسمى حقيقة. وقولنا (في اصطلاح به التخاطب) ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا فإنه وإن كان مستعملا فيما وضع له في الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب. وقولنا (على وجه يصح) احتراز عن الغلط كما سبق. وقولنا (مع قرينة عدم إرادته) احتراز عن الكناية كما تقدم.

٢. مركب.

تقسيم الحقيقة

والحقيقة إما:

١. لغوية، وهي إن كان واضعها اللغة. ومثال اللغوية لفظ أسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في السبع المخصوص.

٢. شرعية، وهي إن كان واضعها الشرع. ومثال الشرعية لفظ صلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة.

٣. عرفية، وهي إن كان واضعها العرف. والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه، كقولنا: كلامية ونحوية، وإلا بقيت مطلقة. وهي إما:

أ. عرفية خاصة، ومثالها لفظ فعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في الكلمة المخصوصة.

ب. عرفية عامة، ومثالها لفظ دابة إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع.

تقسيم المجاز

وكذلك المجاز المفرد إما:

١. لغوي، مثاله لفظ أسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في الرجل الشجاع.
٢. شرعي، ومثاله لفظ صلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء.
٣. عرفي، ومثاله الخاص لفظ فعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في الحدث. ومثال العرفي العام لفظ دابة إذا استعمله المخاطب بالعرفي العام في الإنسان.

لفظ الحقيقة والمجاز

والحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك: حققت الشيء أحقه إذا أثبته، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك: حق الشيء يحق إذا ثبت أي المثبتة أو الثابتة في موضعها الأصلي. فأما التاء فقال صاحب المفتاح هي عندي للتأنيث في الوجهين لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف وهو الكلمة، وفيه نظر. وقيل هي لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصرفة كما قيل في أكيلة ونطيحة إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الاسمية فلذلك لا يوصف بهما، فلا يقال شاة أكيلة أو نطيحة.

والمجاز قيل مفعل من جاز المكان يجوزه إذا تعداه أي تعدت موضعها الأصلي، وفيه نظر. والظاهر أنه من قولهم: جعلت كذا مجازا إلى حاجتي أي طريقا له على أن معنى جاز المكان سلكه على ما فسره الجوهري وغيره. فإن المجاز طريق إلى تصور معناه واعتبار التناسب في التسمية يغاير اعتبار المعنى في الوصف كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ووصفه بأحمر، فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حال وضعه له، والثاني لصحة إطلاقه فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى في غير المسمى كما يلهج به بعض الضعفاء.

تقسيم المجاز

والمجاز ضربان:

١. مرسل، وهو إن لم تكن العلاقة المصححة تشبيه معناه بما هو موضوع له. والمرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، مثل:
   أ. اليد إذا استعملت في النعمة، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها. ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها فلا يقال: اتسعت اليد في البلد أو اقتنيت يدا كما يقال: اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة. وإنما يقال: جلت يده عندي وكثرت أياديه لدي، ونحو ذلك.
   ب. قولهم في صفة راعي الإبل: إن له عليها أصبعا أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حذق، فدلوا عليه بالإصبع لأنه ما من حذق في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع.

ت. اللطف في رفع الإصبع ووضعها كما في الخط والنقش، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) أي نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة، فأرادوا بالإصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة لا مطلقا.

ث. قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أسرعكن لحوقا ويروى لحاقا بي أطولكن يدا) وقوله (أطولكن) نظير ترشيح الاستعارة ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز، والمعنى بسط اليد بالعطاء. وقيل قوله (أطولكن) من الطول بمعنى الفضل، يقال: لفلان على فلان طول أي فضل. فاليد على هذين الوجهين بمعنى النعمة. ويحتمل أن يريد (أطولكن يدا) بالعطاء أي أمدكن، فحذف قوله: بالعطاء للعلم به.

ج. اليد أيضا إذا استعملت في القدرة لأن أكثر ما يظهر سلطانها في اليد، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع.

٢. استعارة، وهي إن كانت العلاقة المصححة تشبيه معناه بما هو موضوع له. وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا. وعلى الأول لا يشتق منه لكونه اسما للفظ لا للحدث. والاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حسا أو عقلا أي التي تتناول أمرا معلوما يمكن أن ينص عليه، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال: إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه. وتفصيله:

أ. الحسي، كقولك: رأيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا. ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه ونحوه مصرحا بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الإنسان، فإن قصد التشبيه صار اللفظ استعارة، كقولهم في مواضع الذم: غليظ المشفر فإنه بمنزلة أن يقال: كأن شفته في الغلظ مشفر البعير.

ب. العقلي، كقولك: أبديت نورا وأنت تريد حجة، فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس، إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها. وعليه قوله عز و جل (اهدنا الصراط المستقيم) أي الدين الحق.

أنواع المجاز المرسل

وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا، منها:

١. تسمية الشيء باسم جزئه، كقوله تعالى (قم الليل إلا قليلا) أي صل ونحوه لا تقم فيد أبدا أي لا تصل، وقول النبي (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم ما ذنبه) أي من صلى.

٢. تسمية الجزء باسم الشيء نحو (يجعلون أصابعهم في آذانهم) أي أناملهم، وعليه قولهم: قطعت السارق، وإنما قطعت يده.

٣. تسمية المسبب باسم السبب، مثل:

أ. قولهم: رعينا الغيث أي النبات الذي سببه الغيث.

ب. قوله عز و جل (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سمى جزاء الاعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء.

ت. قوله تعالى (ونبلو أخباركم) تجوز بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه كأنه قيل ونعرف أخباركم.

ث. قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها.

ج. قوله تعالى (ومكروا ومكر الله) تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها.

٤. تسمية السبب باسم المسبب، مثل:

أ. قولهم: أمطرت السماء نباتا.

ب. قولهم: كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى.

ت. قوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) بإنزال الماء على وجه لأنها لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها.

ث. قوله تعالى (وينزل لكم من السماء رزقا) أي مطرا هو سبب الرزق.

ج. قوله تعالى (إنما يأكلون في بطونهم نارا).

ح. قولهم فلان أكل الدم أي الدية التي هي مسببة عن الدم.

خ. قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) أي أردت القراءة بقرينة الفاء مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة.

د. قوله تعالى (ونادى نوح ربه) أي أراد بقرينة فقال رب .

ذ. قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) أي أردنا إهلاكها بقرينة فجاءها بأسنا.

ر. قوله تعالى (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) بقرينة (أفهم يؤمنون) وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالإهلاك إذ لا يقع الإنكار في أفهم يؤمنون في المجاز إلا بتقدير (ونحن على أن نهلكهم)

٥. تسمية الشيء باسم ما كان عليه، مثل:

أ. قوله عز و جل (وآتوا اليتامى أموالهم) أي الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ.

ب. قوله (إنه من يأت ربه مجرما) سماه مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام.

٦. تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، كقوله تعالى (إني أراني أعصر خمرا).

٧. تسمية الحال باسم محله، كقوله تعالى (فليدع ناديه) أي أهل ناديه.

٨. تسمية المحل باسم الحال، نحو: (أما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) أي في الجنة.

٩. تسمية الشيء باسم آلته، مثل:

أ. قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) أي بلغة قومه.

ب. قوله تعالى (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ذكرا جميلا وثناء حسنا.

هل الاستعارة مجاز لغوي أو مجاز عقلي؟

والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوي أمور، منها:

١. كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أهم منهما كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقا، لأنه لو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه.

٢. أنه لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس.

وقيل الاستعارة مجاز عقلي بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي لا لغوي لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به، لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة. ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه، ولما صح أن يقال لمن قال: رأيت أسدا يعني زيدا أنه جعله أسدا، كما لا يقال لمن سمى ولده أسدا إنه جعله أسدا لأن جعل إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير فأفاد إثبات صفة للشيء فلا تقول جعلته أميرا إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة. وعليه قوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) المعنى أنهم أثبتوا صفة الأنوثة واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم بدليل قوله تعالى (أشهدوا خلقهم). وإذا كان نقل الاسم تبعا لنقل المعنى كان الاسم مستعملا فيما وضع له.

الاستعارة تفارق الكذب

وإذ قد عرفت معنى الاستعارة وأنها مجاز لغوي فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين:

١. بناء الدعوى فيها على التأويل ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها. فإن الكاذب يتبرأ من التأويل ولا ينصب دليلا خلاف زعمه.

٢. أنها لا تدخل في الأعلام لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به، والعلمية تنافي الجنسية، وأيضا لأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرهما، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعين ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها جامعا في الاستعارة، اللهم إلا إذا تضمن نوع وصفية لسبب خارج كتضمن اسم حاتم الجواد ومادر البخيل وما جرى مجراهما

قرينة الاستعارة

وقرينة الاستعارة إما:

١. معنى واحد، كقولك: رأيت أسدا يرمي.

٢. أكثر كقول بعض العرب:

(فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإن في إيماننا نيرانا)

أي سيوفا تلمع كأنها شعل نيران.

تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين

ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين وباعتبار الجامع وباعتبار الثلاثة وباعتبار اللفظ وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله.

أما باعتبار الطرفين فهي قسمان:

١. وفاقية، وهي ما كان اجتماعهما في شيء ممكن، كقوله تعالى أحييناه في قوله (أومن كان ميتا فأحييناه) فإن المراد بأحييناه هديناه أي أومن كان ضالا فهديناه والهداية والحياة لا شك في جواز اجتماعهما في شيء.

٢. عنادية، وهي ما كان اجتماعهما في شيء ممتنع. ومنها:

أ. ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها. وإذا ما خلت منه لم تستحق الشرف، مثل:

a) استعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله، فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك.

b) استعارة اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركا للموجود في ذلك.

c) استعارة اسم الميت للحي الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة، والمقصود بها أعني العلم فيكون مشاركا للميت في ذلك، ولذلك جعل النوم موتا لأن النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت أو الحي العاجز لأن العجز كالجهل يحط من قدر الحي.

ب. ما استعمل في ضده معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بوساطة تهكم أو تمليح على ما سبق في التشبيه، كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو التمليحية.

تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

وأما باعتبار الجامع فهي قسمان:

١. ما يكون الجامع فيه داخلا في مفهوم الطرفين، كاستعارة الطيران للعدو كما جاء في الخبر: كلما سمع هيعة طار إليها، فإن الطيران والعدو يشتركان في أمر داخل في مفهومهما وهو قطع المسافة بسرعة ولكن الطيران أسرع من العدو.

٢. ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين، كقولك: رأيت شمسا وتريد إنسانا يتهلل وجهه، فالجامع بينهما التلألؤ وهو غير داخل في مفهومهما.

وتنقسم باعتبار الجامع أيضا إلى:

١. العامية، فهي المبتذلة لظهور الجامع فيها، كقولك: رأيت أسدا ووردت بحرا.

٢. الخاصية، فهي الغريبة التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة، كقول طفيل الغنوي:

(وجعلت كوري فوق ناجية ... يقتات شحم سنامها الرحل)

وموضع اللطف أو الغرابة منه أنه استعار الاقتيات لإذهاب الرحل شحم السنام مع أن الشحم مما يقتات.

فائدة في الغرابة

ثم الغرابة قد تكون في الشبه نفسه، كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبي في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسا له بأنه مؤدب:

(وإذا احتبى قربوسه بعنانه ... علك الشكيم إلى انصراف الزائر)

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل كقول امرىء القيس:

(فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف إعجازا وناء بكلكل)

وأراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلبا يتمطى به إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيء وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازا يردف بعضها بعضا ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهرة والضغط لمكابده فاستعار له كلكلا ينوء به أي يثقل به.

تقسيم الاستعارة باعتبار الثلاثة أعني الطرفين

وأما باعتبار الثلاثة أعني الطرفين والجامع فستة أقسام:

١. استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي، مثل:

أ. قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) فإن المستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلي القبط التي سبكتها نار السامري عند إلقائه فيها التربة التي أخذها من موطىء حيزوم فرس جبرائيل عليه السلام، والجامع لهما الشكل والجميع حسي.

ب. قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوج ومأجوج وهما حسيان، والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب.

٢. استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي، مثل:

أ. قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظله وهما حسيان، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر.

ب. قوله تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) فإن المستعار منه المرأة والمستعار له الريح والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر، فالطرفان حسيان، والجامع عقلي، وفيه نظر.

٣. استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي، كقولك: رأيت شمسا وأنت تريد إنسانا شبيها بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن.

٤. استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي، كقوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا) فإن المستعار منه الرقاد والمستعار له الموت، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال والجميع عقلي.

٥. استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي، كقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فإن المستعار منه صدع الزجاجة وهو كسرها وهو حسي والمستعار له تبليغ الرسالة والجامع لهما التأثير وهما عقليان كأنه قيل ابن الأمر إبانة لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة.

٦. استعارة معقول لمحسوس بوجه عقلي، كقوله تعالى (إنا لما طغى الماء) فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكبر، والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان.

تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ

وأما باعتبار اللفظ فقسمان:

١. أصلية، وهي إن كان اللفظ اسم جنس، كأسد.

٢. تبعية، وهي إن كان اللفظ غير اسم جنس، كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا. وإنما يصلح للموصوفية الحقائق كما في قولك: جسم أبيض وبياض صاف دون معاني الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف. فإن قلت فقد قيل في نحو شجاع باسل، وجواد فياض، وعالم نحرير، إن باسلا وصف لشجاع، وفياضا وصف لجواد، ونحريرا وصف لعالم. قلت ذلك متأول بأن الثواني لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفا بالأول فالتشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها لمعاني مصادرها، وفي الحروف لمتعلقات معانيها كالمجرور في قولنا: زيد في نعمة ورفاهية فيقدر التشبيه في قولنا: نطقت الحال بكذا، والحال ناطقة بكذا للدلالة بمعنى النطق. وعليه في:

أ. التهكمية، قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) بدل فأنذرهم وقوله تعالى (إنك لأنت الحليم الرشيد) بدل السفيه الغوي.

ب. لام التعليل، كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائبة للالتقاط.

ت. يا، حرف وضع في أصله لنداء البعيد ثم استعمل في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى المنادى. أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب: يا فلان، وأما الثاني فكقول السائل في جواره: يا رب يا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فإنه استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله تعالى مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله.

قرينة التبعية

واعلم أن مدار قرينة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى:

١. الفاعل، كما في قولك: نطقت الحال.
٢. المفعول، كقول ابن المعتز:

(جمع الحق لنا في إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا)

٣. المفعولان الأول والثاني، كقول الحريري:

(وأقرى المسامع إما نطقت ... بيانا يقود الحرون الشموسا)

٤. المجرور، كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم).

تقسيم الاستعارة باعتبار الخارج

وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام:

١. المطلقة، وهي التي لم تقترن بصفة ولا تقريع كلام، والمراد المعنوية لا النعت.
٢. المجردة، وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له، كقوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) حيث قال أذاقها ولم يقل كساها فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس كأنه قال: فأصابها الله بلباس الجوع والخوف.
٣. المرشحة، وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه، كقوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) فإنه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار منه.

وقد يجتمع التجريد والترشيح كما في قول زهير

(لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم)

والترشيح أبلغ من التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه حتى إنه يوضع الكلام في علو المنزلة وضعه وفي علو المكان.

المجاز المركب

وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه، مثل:

١. ما كتب به الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام. شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى.

٢. ما يقال لمن يعمل في غير معمل: أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء. والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك.

٣. ما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه: ما زال يفتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد. والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس. وهذا في المعنى نظير قولهم: فلان يقرد فلانا أي يتلطف به فعل من ينزع القراد من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه.

٤. قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) فإنه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجا عن صفة المتابع له صار النهي عن التقدم متعلقا باليدين مثلا للنهي عن ترك الاتباع.

٥. قوله تعالى (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) إذ المعنى والله أعلم أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا. والجامع يده عليه.

٦. قوله تعالى (والسماوات مطويات بيمينه) أي يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوي بيمين الواحد منا، وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل لأنها أشرف اليدين وأقواهما والتي لا غناء للأخرى دونها فلا يهش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فهيأها لنيله، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى.

٧. قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب) قال الزمخشري كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة.

التمثيل على سبيل الاستعارة

وأما قولهم: اعتصمت بحبله، فقال الزمخشري أيضا يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته باستمساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه. وكذا ما روى أبو هريرة عن النبي قال (إن أحدكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب جعل الله ذلك في كفه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه حتى يبلغ بالتمرة مثل أحد) والمعنى فيهما على انتزاع الشبه من المجموع. وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة. وقد يسمى التمثيل مطلقا.

ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلا، ولذلك لا تغير الأمثال. ومما يبنى على التمثيل نحو قوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) معناه لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه ولكن عدل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضربا من التخييل. وذلك أنه لما كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ولا يفهم ولا يعي جعل كأنه قد عدم القلب جملة، كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان إليه بمنزلة العادم لهما. ولزم على هذا أن لا يقال فلان له قلب إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ويعي ما يجب وعيه، فكان في قوله تعالى: (لمن كان له قلب) تخييل أن من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة بخلاف نحو قولنا لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه. وفي نظم الآية فائدة أخرى شريفة وهي تقليل اللفظ مع تكثير المعنى.

واعلم أن المثل السائر لما كان فيه غرابة استعير لفظة المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، وهو في القرآن كثير، مثل:

١. قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) أي حالهم العجيبة الشأن كحال الذي توقد نارا .
٢. قوله تعالى (ولله المثل الأعلى) أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة .
٣. قوله تعالى (مثلهم في التوراة) أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه .
٤. قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها إلى غير ذلك.

فصل في بيان الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية

قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا أجري عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية. والعلم في ذلك قول لبيد:

(وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها)

فإنه جعل للشمال يدا. ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حسا أو عقلا تجري اليد عليه كإجراء الأسد على الرجل الشجاع، والصراط على ملة الإسلام فيما سبق. ولكن لما شبه الشمال لتصريفها القرة على حكم

طبيعتها في التصريف بالإنسان المصرف لما زمامه بيده أثبت لها يدا على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها به. وحكم الزمان في استعارته للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال فجعل للقرة زماما ليكون أتم في إثباتها مصرفة، كما جعل للشمال يدا ليكون أبلغ في تصييرها متصرفة فوفى المبالغة حقها من الطرفين. فالضمير في أصبحت وزمامها للقرة وهو قول الزمخشري والشيخ عبد القاهر جعله للغداة والأول أظهر.

الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه منه

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه منه:

١. ما لا يكمل وجه الشبه في المشبه به بدونه، كما في قول أبي ذؤيب الهذلي:

(وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع)

فإن شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم ولا بقيا على ذي فضيلة فأثبت للمنية الأظفار التي لا يكمل ذلك في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة في التشبيه.

٢. ما به يكون قوام وجه الشبه في المشبه به، كما في قول الآخر:

(ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق)

فإنه شبه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم في الدلالة فأثبت لها اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان.

فصل

وإذ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخييلية والاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة فاعلم أن لحسنها شروطا إن لم تصادفها عريت عن الحسن وربما تكتسب قبحا وهي في كل من التحقيقية والتمثيل:

١. رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه.

٢. أن لا يشم من جهة اللفظ رائحته، ولذلك يوصي فيه أن يكون الشبه بين طرفيها جليا بنفسه أو عرف أو غيره وإلا صار تعمية وألغازا لا استعارة وتمثيلا، كما إذا قيل: رأيت أسدا وأريد إنسان أبخر، وكما إذا قيل: رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة وأريد الناس، أو قيل رأيت عودا مستقيما، أو أن الغرس وأريد إنسان مؤدب في صباه. وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه. ومما يتصل بهذا أنه إذا قوي الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة، وذلك كالنور إذا شبه العلم به والظلمة إذا شبهت الشبهة بها فإنه لذلك يقول الرجل إذا فهم المسألة حصل في قلبي نور، ولا يقول: كأن نورا حصل في قلبي. ويقول لمن أوقعه في شبهة: أوقعتني في ظلمة ولا يقول: كأنك أوقعتني في ظلمة

وكذا المكنى عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه. وأما التخييلية فحسنها بحسب حسن المكنى عنها لما بينا أنها لا تكون إلا تابعة لها.

فصل

واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى توصف به أيضا لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره للآتي:

١. حذف لفظ، مثل:

أ. قوله تعالى (واسأل القرية) أي أهل القرية، فإعراب القرية في الأصل هو الجر فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه.

ب. قوله تعالى (وجاء ربك) أي أمر ربك.

ت. قولهم: بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق.

٢. زيادة لفظ، مثل قوله تعالى (ليس كمثله شيء) على القول بزيادة الكاف أي ليس مثله شيء، فإعراب مثله في الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار جرا. فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب كما في قوله تعالى (أو كصيب من السماء) إذ أصله أو كمثل ذوي صيب فحذف ذوي لدلالة (يجعلون أصابعهم في آذانهم) عليه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله (كمثل الذي استوقد نارا) إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوي صيب .

القول في الكناية

الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، مثل:

١. قولك فلان طويل النجاد أي طويل القامة،

٢. فلانة نؤوم الضحى أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك. ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم في الضحى من غير تأويل.

الفرق بينهما وبين المجاز

فالفرق بينهما وبين المجاز من هذا الوجه أي من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه، فإن المجاز ينافي ذلك، فلا يصح في نحو قولك في الحمام أسد أن تريد معنى الأسد من غير تأول لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت. وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء

أقسام الكناية

ثم الكناية ثلاثة أقسام، لأن المطلوب بها إما:

١. غير صفة، والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة. فمنها:

أ. ما هو معنى واحد كقولنا المضياف كناية عن زيد. ومنه قوله كناية عن القلب:

(الضاربين بكل أبيض مخذم ... والطاعنين مجامع الأضغان) .

ب. ما هو مجموع معان كقولنا كناية عن الإنسان: حي مستوي القامة عريض الأظفار.

وشرط كل واحد منهما أن تكون مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ليحصل الانتقال منها إليه.

٢. صفة، وهي ضربان:

أ. قريبة، وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة، وهي إما:

a) واضحة، كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاده وطويل النجاد. والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجة والثاني كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول.

b) خفية، كقولهم كناية عن الأبله: عريض القفا فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة.

ب. بعيدة، وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة، مثل:

a) قولهم كناية عن الأبله: عريض الوسادة فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا، ومنه إلى المقصود.

b) قولهم: كثير الرماد كناية عن المضياف، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الآكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود.

c) قوله تعالى (ولما سقط في أيديهم) أي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها.

٣. نسبة، كقول زياد الأعجم :

(إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج)

فإنه حين أراد أن لا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة تنبيها بذلك على أن محلها ذو قبة وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ونظيره قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه.

الموصوف في القسم الثاني والثالث

واعلم أن الموصوف في القسم الثاني والثالث قد يكون:

١. مذكورا كما مر.

٢. غير مذكور، مثل:

أ. ما تقول في عرض من يؤذي المسلمين (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) أي ليس المؤذي مسلما.

ب. قوله تعالى في عرض المنافقين (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) إذا فسر الغيب بالغيبة أي يؤمنون مع الغيبة في حضرة النبي أصحابه رضي الله عنهم أي هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق

تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة عند السكاكي

وقال السكاكي الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، وتفصيله:

١. فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا.

٢. وإلا، فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثرة الرماد وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحا لأن التلويح هو أن يشير إلى غيرك عن بعد.

٣. وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزا لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية.

٤. وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة ، كقول أبي تمام يصف إبلا:

(أبين فما يزرن سوى كريم ... وحسبك أن يزرن أبا سعيد)

فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف.

ثم قال والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازا كقولك: آذيتني فستعرف وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنسانا معه وإن أردتهما جميعا كان كناية.

تنبيه

أطبق البلغاء على:

- أن المجاز أبلغ من الحقيقة،
- أن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه،
- أن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة،
- أن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر.

قال الشيخ عبد القاهر ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه بل لأنه يفيد تأكيدا لإثبات المعنى لا يفيده خلافه فليست فضيلة قولنا: رأيت أسدا على قولنا: رأيت رجلا هو والأسد سواء في الشجاعة أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفده الثاني، بل هي أن الأول أفاد تأكيدا لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني. وليست فضيلة قولنا: كثير الرماد على قولنا: كثير

القرى أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثاني بل هي أن الأول أفاد تأكيدا لإثبات كثرة القرى له لم يفده ا لثاني. والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع من الملزوم إلى اللازم فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء ببينة ولا شك أن دعوى الشيء ببينة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بينة.

ولقائل أن يقول قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون الشبه به أتم منه في المشبه وأظهر فقولنا: رأيت أسدا يفيد للمرء شجاعة أتم مما يفيدها قولنا: رأيت رجلا كالأسد لأن الأول يفيد شجاعة الأسد والثاني شجاعة دون شجاعة الأسد. ويمكن أن يجاب بحمل كلام الشيخ على أن السبب في كل صورة ليس هو ذلك لا أن ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلا هذا آخر الكلام في الفن الثاني.

أقسام البلاغة عند الكسائي

وذكر السكاكي بعد الفراغ منه تفسير البلاغة بما نقلناه عنه في صدر الكتاب ثم قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد وعنى بالتعقيد اللفظي على ما سبق تفسيره وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصيلة وقال وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر لا مما أحدثه المولدون ولا مما أخطأت فيه العامة وأن تكون أجرى على قوانين اللغة وأن تكون سليمة التنافر فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة وحصر مرجع البلاغة في الفنين ولم يجعل الفصاحة مرجعا لشيء منهما ثم قال وإذ قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية اللفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك.

تطبيق

تفسير قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) وزاد عليه نكتا لا بأس بها فرأيت أن أورده تلخيص ما ذكره جاريا عل اصطلاحه في معنى البلاغة والفصاحة قال:

أما النظر فيها من جهة علم البيان : فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد وأن نقطع طوفان السماء فانقطع وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض وأن يقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضى وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بني الكلام على تشبيه المراد منه بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان. وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في تكوين المقصود تصويرا لاقتداره تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده. ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال تعالى: قيل، على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو (يا أرض ويا سماء) ثم قال يا أرض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغور الماء في

الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر خفي، واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية لتقوي الأرض بالماء في الإثبات للزرع والأشجار. وجعل قرينة الاستعارة لفظ (ابلعي) لكونه موضوعا للاستعمال في الغذاء دون الماء. ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره ثم قال (ماءك) بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك، واستعار لحبس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان، وخاطب في الأمرين ترشيحا للاستعارة. ثم قال (وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) فلم يصرح بالغائض والقاضي والمسوي والقائل كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية أن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلا من ذي قدرة لا تكتنه قهار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره. ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لأنفسهم ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه.

وأما النظر فيها من حيث علم المعاني : وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير بين جملتها فذلك أنه اختير يا دون سائر أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به. ولم يقل يا أرض بالكسر تجنبا لإضافة التشريف تأكيدا للتهاون. ولم يقل يا أيتها الأرض للاختصار مع الاحتراز عما في أيتها من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة. واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخف وأدور. واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة. واختير ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين أقلعي أوفر. وقيل ماءك بالإفراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاستكثار الذي يأباه مقام إظهار الكبرياء وهو الوجه في إفراد الأرض والسماء. ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها نظرا إلى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء. ثم إذ بين المراد اختصر الكلام على أقلعي فلم يقل أقلعي عن إرسال الماء احترازا عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر وهو الوجه في أنه لم يقل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت. واختير غيض الماء على غيض المشددة لكونه أخصر وأخف وأوفق لقيل. وقيل الماء دون أن يقال ماء طوفان السماء وكذا الأمر دون أن يقال أمر نوح للاختصار. ولم يقل سويت على الجودي بمعنى أقرت على نحو قيل وغيض وقضي في البناء للمفعول اعتبار لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله (وهي تجري بهم) مع قصد الاختصار. ثم قيل بعدا للقوم دون أن يقال ليبعد القوم طلبا للتوكيد مع الاختصار ثم وهو نزول بعدا منزلة ليبعدوا بعدا مع إفادة أخرى وهي استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى أن البعد حق لهم. ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل. هذا من حيث النظر إلى الكلم.

وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدم النداء على الأمر فقيل: (يا أرض ابلعي ويا سماء اقلعي) دون أن يقال ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة من

تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح. ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة منزلة الأصل. ثم أتبعهما قوله وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله (وقضي الأمر) أن أنجز الوعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة ثم أتبعه حديث السفينة ثم ختمت القصة بما ختمت هذا كله نظر في الآية من جانب البلاغة.

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد بل ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق ألفاظها

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الأسلات كل منها كالماء في السلالة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة. والله أعلم.

الفن الثالث في علم البديع

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة. وهذه الوجوه ضربان:

١. ضرب يرجع إلى المعنى ، أما المعنوي فمنه: المطابقة، المقابلة، مراعاة النظير، الإرصاد، ويسمى التسهيم أيضا، المشاكلة، الاستطراد، المزاوجة، العكس والتبديل، الرجوع، التورية، وتسمى الإيهام أيضا، الاستخدام، اللف والنشر، الجمع، التفريق، التقسيم، الجمع مع التفريق، الجمع مع التقسيم، الجمع مع التفريق والتقسيم، التجريد، مخاطبة الإنسان نفسه، المبالغة المقبولة، المذهب الكلامي، حسن التعليل، التفريع، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، الاستتباع، الإدماج، التوجيه، الهزل الذي يراد به الجد، تجاهل العارف، القول بالموجب، الاطراد. وتفصيله كالآتي:

أ. المطابقة، وتسمى الطباق والتضاد أيضا، وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما:

a) بلفظين من نوع واحد اسمين، كقوله تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود)

b) بلفظين من نوع واحد فعلين، كقوله تعالى (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) وقول النبي للأنصار (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع)

c) بحرفين، كقوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)

d) بلفظين من نوعين، كقوله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه) أي ضالا فهديناه.

والطباق قد يكون:

a. ظاهرا كما ذكرنا

b. خفيا نوع خفاء، كقوله تعالى (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا) طابق بين أغرقوا وأدخلوا نارا.

والطباق ينقسم إلى:

a. طباق الإيجاب كما تقدم

b. طباق السلب وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي، كقوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) وقوله (فلا تخشوا الناس واخشون)

ب. المقابلة، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب. والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به. ومثال:

a) مقابلة اثنين باثنين، قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وقول النبي (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه).

b) مقابلة ثلاثة بثلاثة، قول أبي دلامة:

(ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ❊❊❊ وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل).

c) مقابلة أربعة بأربعة، قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) فإن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق.

d) مقابلة خمسة بخمسة على أن المقابلة الخامسة بين لي وبي، وفيه نظر.

ت. مراعاة النظير، وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، كقوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان). ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، مثل:

a) قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبرة تناسب من يدرك شيئا فإن من يدرك شيئا يكون خبيرا به.

b) قوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد) قال الغني الحميد لينبه على أن ماله ليس لحاجة بل هو غني عنه جواد به فإذا جاد به حمده المنعم عليه.

c) قوله تعالى (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فإن قوله (وإن تغفر لهم) يوهم أن الفاضلة الغفور الرحيم ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز لأن العزيز في صفات الله هو الغالب من قولهم عزه يعزه عزا إذا غلبه ومنه المثل من عزيز أي من غلب سلب. ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا لأن الحكيم من يضع الشيء في محله والله تعالى كذلك، إلا أنه قد يخفي وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته.

d) قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) ويسمى إيهام التناسب.

وأما ما يسميه بعض الناس التفويف هو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها، كقول من يصف سحابا:

(تسربل وشيا من خزوز تطرزت ❊❊❊ مطارفها طرزا من البرق كالتبر)

(فوشي بلا رقم ونقش بلا يد ❊❊❊ ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر)

ث. الإرصاد، ويسمى التسهيم أيضا، وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي، كقوله تعالى (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقوله (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون).

ج. المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته إما:

a) تحقيقا، كقوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها)

b) تقديرا، كقوله تعالى (صبغة الله) وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله (آمنا بالله) والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم (قولوا أمنا بالله) وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم. وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة. وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر دلت على ذلك.

ح. الاستطراد، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني، كقوله تعالى (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) قال الزمخشري هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوءات وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى هذا أصله. وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه.

خ. المزاوجة، وهي أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري:

(إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى ❊❊❊ أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر)

د. العكس والتبديل، وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر، ويقع على وجوه منها:

a) أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليها كقول بعضهم: عادات السادات سادات العادات.

b) أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين، كقوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)

c) أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وقوله (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) وقوله (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء)

ذ. الرجوع، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير:

(قف بالديار التي لم يعفها القدم *** بلى وغيرها الأرواح والديم)

قيل لما وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلته فأخبر بما لم يتحقق فقال لم يعفها القدم ثم ثاب إليه عقله فتدارك كلامه فقال بلى وغيرها الأرواح والديم.

ر. التورية، وتسمى الإيهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما، وهي ضربان:

a) مجردة، فهي التي لا تجامع شيئا مما يلائم المورى به أعني المعنى القريب، كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى).

b) مرشحة، فهي التي قرن بها ما يلائم المورى به إما:

a. قبلها، كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون)

b. بعدها، كلفظ الغزالة في قول القاضي الإمام أبي الفضل عياض في صيفية باردة:

(كأن كانون أهدى من ملابسه *** لشهر تموز أنواعا من الحلل)

(أو الغزالة من طول المدى خرفت *** فما تفرق بين الجدي والحمل)

ز. الاستخدام، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره معناه الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الأخر فالأول كقوله:

(إذانزل السماء بأرض قوم *** رعيناه وإن كانوا غضابا)

أراد بالسماء الغيث وبضميرها النبت. والثاني كقول البحتري:

(فسقى الغضا والساكنيه وإن هم *** شبوه بين جوانح وضلوع)

أراد بضمير الغضا في قوله والساكنيه المكان وفي قوله شبوه الشجر.

س. اللف والنشر، وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه. فالأول ضربان لأن النشر إما:

a) على ترتيب اللف، كقوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله).

b) على غير ترتيبه، كقول ابن حيوس:

(كيف أسلو وأنت حقف وغصن *** وغزال لحظا وقدا وردفا)

والثاني كقوله تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) فإن الضمير في قالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق.

ش. الجمع، وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد كقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا).

ص. التفريق، وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره كقوله:

(ما نوال الغمام وقت ربيع *** كنوال الأمير يوم سخاء)

(فنوال الأمير بدرة عين *** ونوال الغمام قطرة ماء)

ض. التقسيم، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين كقول أبي تمام :

(فما هو إلا الوحي أو حد مرهف *** تميل ظباه أخدعي كل ماثل)

(فهذا دواء الداء من كل عالم *** وهذا دواء الداء من كل جاهل)

ط. الجمع مع التفريق، وهو أن يدخل شيئان في معنى واحد ويفرق بين جهتي الإدخال ومنه قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) .

ظ. الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيمه ثم جمعه، فالأول كقول أبي الطيب:

(حتى أقام على أرباض خرشنة *** تشقى به الروم والصلبان والبيع)

(للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا *** والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا)

جمع في البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الإجمال حيث قال تشقى به الروم ثم قسم في الثاني وفصله. والثاني كقول حسان:

(قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم *** أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا)

(سجية تلك منهم غير محدثة *** إن الخلائق فاعلم شرها البدع)

قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء ثم جمعها في البيت الثاني حيث قال سجية تلك.

ع. الجمع مع التفريق والتقسيم، كقوله تعالى (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ). وتفصيله:

a) الجمع، ففي قوله (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) فإن قوله نفس متعدد معنى لأن النكرة في سياق النفي نعم.

b) التفريق، ففي قوله (فمنهم شقي وسعيد).

c) التقسيم، ففي قوله (فأما الذين شقوا) إلى آخر الآية الثانية. وقد يطلق التقسيم على أمرين:

a. أن يذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حال ما يليق بها.

b. استيفاء أقسام الشيء بالذكر كقوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) وقوله (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما).

غ. التجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرا آخرا مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه وهو أقسام منها:

a) نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم أي بلغ من الصداقة مبلغا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر.

b) نحو قوله: لئن سألت فلان لتسألن به البحر.

c) نحو قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) فإن جهنم أعاذنا الله منها هي دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل معدا فيها للكفار تهويلا لأمرها.

d) نحو قول الحماسي:

(فلئن بقيت لأرحلن بغزوة *** تحوي الغنائم أو يموت كريم)

وعليه قراءة من قرأ (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وقيل تقدير الأول أو يموت مني كريم والثاني فكانت منه وردة كالدهان. وفيه نظر.

e) نحو قوله: (يا خير من يركب المطي ولا *** يشرب كأسا بكف من بخلا)

ف. مخاطبة الإنسان نفسه، كقول الأعشى:

(ودع هريرة إن الركب مرتحل *** وهل تطيق وداعا أيها الرجل).

ق. المبالغة المقبولة، والمبالغة أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف وتنحصر في:

a) التبليغ، وهو أن المدعي للوصف من الشدة أو الضعف أن يكون ممكنا في العادة.

b) الإغراق، وهو أن المدعي للوصف من الشدة أو الضعف أن لا يكون ممكنا في العادة.

c) الغلو، وهو أن المدعي للوصف من الشدة أو الضعف أن يكون ممكنا في نفسه.

أنواع المقبولة منها

والمقبول منه أصناف:

a. ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة، نحو لفظة يكاد في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار).

b. ما تضمن نوعا حسنا من التخييل كقول أبي الطيب:

(عقدت سنابكها عليها عثيرا ❊❊❊ لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا).

c. ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقول الآخر:

(أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب ❊❊❊ عدا إن ذا من العجب)

ك. المذهب الكلامي، وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام مثل:

a) قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا).

b) قوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) أي والإعادة أهون عليه من البدء والأهون من البدء أدخل في الإمكان من البدء فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء وهو المطلوب.

c) قوله تعالى (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) أي القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي.

d) قوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي أنتم تعذبون والبنون لا يعذبون فلستم ببنين له.

ل. حسن التعليل، وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي وهو أربعة أقسام، لأن الوصف إما:

a) ثابت قصد بيان علته، وهو إما:

a. أن لا يظهر له في العادة علة

b. أن يظهر له علة غير المذكورة.

كقول أبي الطيب:

(لم يحك نائلك السحاب وإنما ❊❊❊ حمت به فصيبها الرحضاء)

فإن نزول المطر لا يظهر له في العادة علة. وكقول أبي تمام:

(لا تنكري عطل الكريم من الغنى *** فالسيل حرب للمكان العالي)

علل عدم إصابة الغني الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالي كالطود العظيم من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالي والغني لحاجة الخلق إليه كالسيل.

b) غير ثابت أريد إثباته، وهو إما:

a. ممكن

b. غير ممكن

كقول أبي الطيب:

(ما به قتل أعاديه ولكن *** يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب)

فإن قتل الملوك أعداءهم في العادة لإرادة هلاكهم وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم لا لما ادعاه من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه.

م. التفريع، وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر كقول:

(أحلامكم لسقام الجهل شافية *** كما دماؤكم تشفي من الكلب)

فرع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب.

ن. تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو ضربان:

a) أفضلهما أن يستثني من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقول النابغة الذبياني:

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *** بهن فلول من قراع الكتائب)

أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال فهو في المعنى تعليق بالمحال كقولهم حتى يبيض القار فالتأكيد فيه من وجهين: أحدهما أنه كدعوى الشيء ببينة. والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا فإذا نطق المتكلم بإلا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا وهذا ذم فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحا على مدح وإن كان فيه نوع من الخلابة.

b) أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كقول النبي (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون

منقطعا لكنه باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ولهذا قلنا الأول أفضل.

ه. تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو ضربان:

a) أن يستثني من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها، كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من يحسن إليه.

b) أن يثبت للشيء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له، كقولك: فلان فاسق إلا أنه جاهل.

و. الاستتباع، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقول أبي الطيب:

(نهبت من الأعمار ما لو حويته ❊❊❊ لهنئت الدنيا بأنك خالد)

فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده.

ي. الإدماج، وهو أن يضمن كلاما سيق لمعنى معنى آخر فهو أعم من الاستتباع، ومثاله قول أبي الطيب:

(أقلب فيه أجفاني كأني ❊❊❊ أعد بها على الدهر الذنوبا)

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر

أأ. التوجيه، وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقوله تعالى (واسمع غير مسمع وراعنا) قال الزمخشري غير مسمع حال من المخاطب أي: اسمع وأنت غير مسمع.

بب. الهزل الذي يراد به الجد، فترجمته تغني عن تفسيره ومثاله قول الشاعر:

(إذا ما تميمي أتاك مفاخرا ❊❊❊ فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب)

تت. تجاهل العارف، وهو كما سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة مثل:

a) التوبيخ في قول الخارجية:

(أيا شجر الخابور مالك مورقا ❊❊❊ كأنك لم تجزع على ابن طريف)

b) المبالغة في المدح في قول البحتري:

(ألمع برق سرى أم ضوء مصباح ❊❊❊ أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي)

c) المبالغة في الذم كقول زهير:

(وما أدري وسف أخال أدري ❊❊❊ أقوم آل حصن أم نساء)

d) التدله في الحب في قول الحسين بن عبد الله:

(بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ❊❊❊ ليلاي منكن أم ليلى من البشر)

e) التحقير في قوله تعالى في حق النبي عن الكفار (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) كأن لم يكونوا يعرفون عنه إلا أنه رجل ما.

f) التعريض في قوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) وفي مجيء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى وهي أنه يبعث المشركين على الفكر في حالة أنفسهم وحال النبي والمؤمنين وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم عل بعض وسبي ذراريهم واستباحة أموالهم وقطع الأرحام وإتيان الفروج الحرام وقتل النفوس التي حرم الله قتلها وشر الخمر التي تذهب العقول وتحسن ارتكاب الفواحش وفكروا فيما النبي عليه من صلة الأرحام واجتناب الآثام والأمر بالمعروف والنهي عن ا لمنكر وإطعام المساكين وبر الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى علموا أن النبي على هدى وأنهم على الضلالة فبعثهم ذلك على الإسلام وهذه فائدة عظيمة

ثث. القول بالموجب، وهو ضربان:

a) أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه، كقوله تعالى (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فإنهم كنوا بالأعز عن فريقهم وبالأذل عن فريق المؤمنين وأثبتوا للأعز الإخراج فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم.

b) حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه كقوله:

(قلت ثقلت إذ أتيت مرارا *** قال ثقلت كاهلي بالأيادي)

(قلت طولت قال لا بل تطولت *** وأبرمت قال حبل ودادي)

والاستشهاد بقوله ثقلت وأبرمت دون قوله طولت.

ججـ. الاطراد، وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه كقول الشاعر:

(إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم *** بعتيبة بن الحارث بن شهاب)

٢. ضرب يرجع إلى اللفظ، وأما اللفظي فمنه: الجناس، ورد العجز على الصدر، والسجع، والتصريع، والموازنة، القلب، والتشريع، ولزوم ما لا يلزم. وتفصيله كالآتي:

الجناس

وهو تشابههما في اللفظ، ومنه:

١. جناس تام، وهو أن يتفقا في أنواع الحروف وإعدادها وهيئاتها وترتيبها. فهو إما:

أ. مماثل، وهو إن كانا من نوع واحد كاسمين، كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة).

ب. مستوفى، وهو إن كانا من نوعين كاسم وفعل، كقول أبي تمام أيضا:

(ما مات من كرم الزمان فإنه ❊❊❊ يحيا لدى يحيى بن عبد الله) .

ت. جناس التركيب، وهو إن كان أحد لفظيه مركبا.

ث. مرفو، وهو إن كان المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة، كقول الحريري:

(ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ❊❊❊ بدمع يحاكي الوبل حال مصابه)

(ومثل لعينيك الحمام ووقعه ❊❊❊ وروعة ملقاه ومطعم صابه)

ج. متشابه، وهو إن لم يكن مركبا منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة،

ح. مقرون، وهو إن اتفقا في الخط كقول أبي الفتح البستي :

(إذا ملك لم يكن ذا هبة ❊❊❊ فدعه فدولته ذاهبة)

خ. مفروق، وهو إن اختلفا في الخط، كقول أبي الفتح أيضا:

(كلكم قد أخذ الجام ❊❊❊ ولا جام لنا)

(ما الذي ضر مدير الجام ❊❊❊ لو جاملنا)

ووجه حسن هذا القسم أعني التام حسن الإفادة مع أن الصورة صورة الإعادة.

٢. جناس محرف، وهو إن اختلفا في هيئات الحروف فقط. ثم الاختلاف قد يكون في:

أ. الحركة فقط، كالبرد والبرد في قولهم: جبة البرد جنة البرد، وعليه قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) قال السكاكي وكقولك: الجهول إما مفرط أو مفرط. والمشدد في هذا الباب يقوم مقام المخفف نظرا إلى الصورة.

ب. الحركة والسكون، كقولهم: البدعة شرك الشرك، وقول أبي العلاء:

(والحسن يظهر في بيتين رونقه ❊❊❊ بيت من الشعر أو بيت من الشعر).

٣. جناس ناقص، وهو إن اختلفا في أعداد الحروف فقط، ويكون ذلك على وجهين:

أ. أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول، كقوله تعالى (والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق)

ب. أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الوسط كقولهم: جدي جهدي.

ت. أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الآخر، كقول أبي تمام:

(يمدون من أيد عواص عواصم ❊❊❊ تصول بأسياف قواض قواضب)

وربما سمي هذا القسم أعني الثالث مطرفا. ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم أنها هي التي مضت. وإنما أتي بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها.

ث. أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد كقول الخنساء:

(إن البكاء هو الشفاء ❊❊❊ في الجوى بين الجوانح).

وربما سمي هذا الضرب مذيلا .

٤. جناس مضارع، وهو إن اختلفا في أنواع الحروف وكانا متقاربين. ويشترط أن لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف. ويكونان إما:

أ. في الأول، كقول الحريري: بيني وبين كنى ليل دامس وطريق طامس.

ب. في الوسط، كقوله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) وقول بعضهم البرايا أهداف البلايا.

ت. في الآخر، كقول النبي (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة).

٥. جناس لاحق، وهو إن اختلفا في أنواع الحروف وكانا غير متقاربين. ويكونان أيضا إما:

أ. في الأول، كقوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) وقول بعضهم رب وضي غير رضي وقول الحريري لا أعطي زمامي لمن يخفر ذمامي.

ب. في الوسط، كقوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) وقوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد).

ت. في الآخر، كقول تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن).

٦. جناس القلب، وهو إن اختلفا في ترتيب الحروف. وهو ضربان:

أ. قلب الكل، كقولهم: حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه.

ب. قلب البعض، كما جاء في الخبر اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. وقول بعضهم رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه.

وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقلوبا مجنحا، وإذا ولي أحد المتجانسين الآخر سمي مزدوجا ومكررا ومرددا، كقوله تعالى (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) وما جاء في الخبر: المؤمنون هينون لينون) ، وقولهم: من طلب وجد وجد، وقولهم: من قرع بابا ولج ولج، وقولهم: النبيذ بغير النغم غم وبغير الدسم سم.

فائدة

واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان:

١. أن يجمع اللفظين الاشتقاق، كقوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) وقوله تعالى (فروح وريحان) وقول النبي (الظلم ظلمات يوم القيامة) وقول الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن النبيذ أجمع أهل الحرمين على تحريمه.

٢. أن يجمعهما المشابهة، وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به، كقوله تعالى (اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) وقوله تعالى (قال إني لعملكم من القالين) وقوله تعالى (وجنى الجنتين دان)

رد العجز على الصدر

ومنه رد العجز على الصدر وهو في:

١. النثر، وهو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها، مثل:

أ. قوله تعالى (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه).

ب. قولهم: الحيلة ترك الحيلة.

ت. كقولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل.

ث. كقوله تعالى (استغفروا ربكم إنه كان غفارا) .

ج. قوله تعالى (قال إني لعملكم من القالين).

٢. الشعر، وهو أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني. ومثاله كالآتي:

أ. الأول كقوله:

(سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ❊❊❊ وليس إلى داعي الندى بسريع)

ب. الثاني كقول الحماسي:

(تمتع من شميم عرار نجد ❊❊❊ فما بعد العشية من عرار)

ت. الثالث كقوله أيضا:

(ومن كان بالبيض الكواكب مغرما ❊❊❊ فما زلت بالبيض القواضب مغرما)

ث. الرابع كقول الحماسي:

(وإن لم يكن إلا معرج ساعة ❊❊❊ قليلا فإني نافع لي قليلها)

ج. الخامس كقول القاضي الأرجاني:

(دعاني من ملامكما سفاها ❊❊❊ فداعي الشوق قبلكما دعاني)

ح. السادس كقول الآخر:

(وإذا البلابل أفصحت بلغاتها ❊❊❊ فانف البلابل باحتساء بلابل)

خ. السابع كقول الحريري:

(فمشغوف بآيات المثاني *** ومفتون برنات المثاني)

د. الثامن كقول القاضي الأرجاني:

(أملتهم ثم تأملتهم *** فلاح لي أن ليس فيهم فلاح)

ذ. التاسع كقول البحتري:

(ضرائب أبدعتها في السماح *** فلسنا نرى لك فيها ضريبا)

ر. العاشر كقول امرىء القيس:

(إذا المرء لم يخزن عليه لسانه *** فليس على شيء سواه بخزان)

ز. الحادي عشر كقول الآخر:

(فدع الوعيد فما وعيدك ضائري *** أطنين أجنحة الذباب يضير)

س. الثاني عشر كقول أبي تمام:

(وقد كانت البيض القواضب في الوغى *** بواتر فهي الآن من بعده بتر)

السجع

ومنه السجع وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد. وهذا معنى قول السكاكي الأسجاع من النثر كالقوافي في الشعر وهو ثلاثة أضرب:

١. مطرف، وهو إن كانت الفاصلتان اختلفتا في الوزن، كقوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)

٢. متواز، إن لم تكن الفاصلتان اختلفتا في الوزن وليس ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية، مثل:

أ. قوله تعالى (فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة) .

ب. دعاء النبي (اللهم إني أدرأ بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم).

٣. ترصيع، إن لم تكن الفاصلتان اختلفتا في الوزن وما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية، مثل:

أ. قول الحريري: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه،

ب. قول أبي الفضل الهمذاني: إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا،

ت. قول أبي الفتح البستي: ليكن إقدامك توكلا وإحجامك تأملا.

شرط حسن السجع

وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه في المعنى كما مر لا كقول ابن عباد: (في مهزومين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم). قيل وأحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى (في سدر

مخضود وطلح منضود وظل ممدود) ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) أو الثالثة كقوله تعالى (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) وقول أبي الفضل الميكالي وله الأمر المطاع الشرف اليفاع والعرض المصون والمال المضاع. وقد اجتمعا في قوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

أنواع السجع

ثم السجع إما:

١. قصير، كقوله تعالى (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا)
٢. طويل، كقوله تعالى (إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور).
٣. متوسط، كقوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) .

هل يقال في القرآن أسجاع؟

وقيل إنه لا يقال في القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل. وقيل السجع غير مختص بالنثر. ومثاله من الشعر قول أبي تمام:

(تجلى به رشدي وأثرت به يدي *** وفاض به ثمدي وأورى به زندي)

التشطير

ومن السجع على هذا القول ما يسمى التشطير وهو أن يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها كقول أبي تمام:

(تدبير معتصم بالله منتقم *** لله مرتغب في الله مرتقب)

التصريع

ومنه ما يسمى التصريع، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب، كقول أبي فراس:

(بأطراف المثقفة العوالي *** تفردنا بأوساط المعالي)

وهو مما استحسن حتى أن أكثر الشعر صرع البيت الأول منه ولذلك متى خالفت العروض الضرب في الوزن جاز أن تجعل موازنة له إذا كان البيت مصرعا.

الموازنة

ومنه الموازنة، وهي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفيةن كقوله تعالى (ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة). فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة، كقوله تعالى (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم)

القلب

ومنه القلب، كقولك أرض خضراءوفي التنزيل (كل في فلك) وفيه (وربك فكبر)

التشريع

ومنه التشريع، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما، كقول الحريري

(يا خاطب الدنيا الدنية إنها ❊❊❊ شرك الردى وقرارة الأكدار)

لزوم ما لا يلزم

ومنه لزوم ما لا يلزم وهو أن يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع، كقوله تعالى (فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) وقوله (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر). وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين أيضا كقول الحريري وما اشتار العسل من اختار الكسل

أصل الحسن في القسم اللفظي

وأصل الحسن في جميع ذلك أعني القسم اللفظي كما قال الشيخ عبد القاهر هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا ما يليق بها. وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع على أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء وأن يوقع السامع طلبه في خبط عشواء.

كلمة الختام

هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين منها ما يتعين إهماله لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين إلى الخط دون اللفظ مع أنه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ونحو ما لا أثر له في التحسين كما يسمى الترديد، أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماه الإيضاح فإنه في الحقيقة راجع إلى الإطناب أو خلط فيه، كما سماه حسن البيان. ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة وهو شيئان أحدهما القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها. والثاني القول في الابتداء والتخلص والانتهاء. والله تعالى أعلى وأعلم.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

المقطم، ٢٤ شوال ١٤٤٥ هـ الموافق ١٥ أبريل ٢٠٢٤

الفقير عبد الله اليسري الجاوي الأزهري

(أنطاني أوكتافيان بن مهلان)

المولود بمدينة ماء الذهب بجاوى الوسطى

إندونيسي الجنسية

طالب بمرحلة العالمية بالأزهر الشريف

قسم التفسير وعلوم القرآن

٠٠٢٠١٥٠٧٧٠١٧٢٤